العاميّة وأثرها في تغريب العربية
بين القديم والحديث

الدكتور
سلوان علي حسين الحديثي
كلية الإمام الأعظم/ قسم اللغة العربية

المقدّمة

الحمد لله ربِّ والصلاة والسلام على سيِّد الأولين والآخرين محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين . أمَّا بعد:

فإنّ اللغة ـ أيّ لغة ـ هي المرآة التي تعكس الحياة لهذه الأمّة أو تلك، وما عليها من التّطور والنّمو أو من الركود والخمود . فاللغة هي الوسيلة التي تسجل لنا علومها وآدابها وتُدوّن تأريخها على مرّ العصور، فهي من أهم دعائم الأمّة الحيّة التي تشعر بوجودها وتحسّ بكرامتها بين الأمم الاخرى .

وتُعدُّ اللغة الرابط الوثيق بين حاضر هذه الأمّة وماضيها، فمن خلالها يستطيع أبناؤها التعرّف على ما قدّمه الآباء والأجداد في مختلف مجالات التقدّم الحضاري . وهكذا كانت اللغة العربية على مرّ العصور السالفة، لغة الآداب والعلوم، وإنّ أيَّ نظرة إلى أيِّ كتاب من كتب تأريخ هذه اللغة الأدبية أو العلمية تُعطيك صورةً واضحةً عن قدرة هذه اللغة في مواكبة الحضارة من تأليف وتدوين وترجمة واختراع وغيرها . فهي بحق كانت مشروع النهضة آنذاك .

أمّا في العصر الحديث وبعد أن أدرك أبناء هذه الأمّة العربية أنّ مشروع نهضتها لا يكون إلاّ بلغتها كما كان في ماضيها، أدرك في الوقت نفسه أعداء هذه الأمّة وأعداء لغتها الأمر الخطير الذي سيلحق بهم من هذا المشروع الذي سيمنع تحقيق مخطّطاتهم القذرة التي يرمون من ورائها السيطرة على العالم العربي ومسخ هويّته العربية وتمزيق الرّابط الذي يجمع بينهم ألا وهو اللغة العربية؛ لذلك ذهبوا يتفنّنون في اصطناع الأكاذيب الواهية حولها ويستعملون الأساليب الخبيثة باسم التطوّر والتقدّم وغيرها من أجل قتل هذا المشروع، ومن هذه الأكاذيب التي ذكروها حول هذه اللغة أنّها لغة صعبة وجامدة

لا تواكب هذا التطوّر والتقدّم الحضاري؛ ولذالك يجب استبدالها بلغة أخرى لا سيّما العاميّة العربية لغة المجتمع السّائدة في هذه البلاد، بعد أن فشلت محاولاتهم السابقة باستبدالها بلغة أجنبية أخرى .

وقد تناول الكثير من الدارسين المحدثين موضوع اللغة العامية في دراساتهم اللغويّة المختلفة، وبيّنوا أسباب نشأتها وانتشارها وآثارها الخطيرة على الدين والأمة، ووضعوا لها الكثير من الحلول والتوصيات . وسأذكر بعضاً منها، وهي: (اللغة العامية) وتناولها الأستاذ الرافعي تحت هذا العنوان في كتابه (تأريخ آداب العرب)، وتناولتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن تحت عنوان (جريمة العصر) في كتابها (لغتنا والحياة)، وتناولها الأستاذ محمود محمد شاكر في مواطن كثيرة من كتابه (أباطيل وأسمار)، كما تناولها الأستاذ ساطع الحصري في بحث تحت عنوان (قضيّة الفصحى والعاميّة)، نُشِرَ في مجلّة (لسان العرب)، المجلّد الثالث عشر، لسنة ١٩٧٦م، وتناولها الدكتور صبحي الصالح تحت عنوان (العربية في العصر الحديث) في كتابه (دراسات في فقه اللغة)، وتناولها كذلك الدكتور كمال بشر تحت عنوان (نوعية اللغة) في كتابه (دراسات في علم اللغة)، وهناك دراسات كثيرة غيرها .

وعلى الرغم من كثرة هذه الدراسات، إلاّ أنّي لم أجد من تناول اللغة العاميّة بين القديم والحديث بصورة موازنة، وعليه فقد كانت الغاية من هذا البحث هو بيان حقيقة مدى تأثير هذه اللغة على العربية الفصحى إلى حدّ التغريب أو الموت . وهل كان هذا في العصر القديم أم الحديث ؟.

ولذلك اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في تمهيد ومبحثين ثمّ خاتمة، سجلت فيها أهم النتائج، ثمّ قائمة المصادر والمراجع .

أمّا التمهيد فقد تناولت فيه معنى التغريب والعاميّة، تمّ وضّحت فيه مسألة

الازدواجية بين الفصحى والعاميّة .

وأمّا المبحث الأول فقد جاء بعنوان: (العاميّة في العصر القديم)، وقد تكلمت فيه عن نشأة العاميّة، وكيف كانت حياتها في العصر الإسلامي والأموي والعباسي وحتى سقوط بغداد في أيدي التتر وما بعد ذلك، وأثر الشّعوبية فيها، وما نتج عنها - أي العاميّة - من ظهور مبدأ تنقية العربية .

وأمّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: (العاميّة في العصر الحديث)، وتكلمت فيه عن موقف المستشرقين من الدّعوة إلى العاميّة، ومن تابعهم في ذلك ممن ينتمون إلى العرب أو من المؤسسات العربية، ثمّ وضّحت بنماذج من اللغة العاميّة الأمر الخطير الذي تتركه هذه اللغة إذا ما اسْتُبدِلت بالعربية الفصحى من تمزيق وتفتيت على المستوى القومي والديني، ثمّ تكلمت عن دور العاميّة في المجتمع، ثمّ بعد ذلك بيّنت ما نحتاج إليه اليوم. والله من وراء القصد .

❊ ❊ ❊

التَّمهِيد

أولاً ـ العاميّة في اللغة والإصطلاح:

أ ـ العاميّة لغةً:

جاء في (الصّحاح): ((العامَّة: خلاف الخاصة . وعمّ الشيء يَعمّ عُموماً: شمل الجماعة))[1].

وجاء في (لسان العرب): ((ويقال: رَجُلٌ عُمِّيٌّ وَرَجُلٌ قُصْرِيٌّ، فالعُمِّيُّ العامُّ، والقُصْرِيُّ الخاصُّ))[2] .

ب ـ العاميّة اصطلاحاً:

جاء في (المعجم الوسيط): العاميّة هي ((ما نطق به العامّة على غير سنن الكلام العربي))[3].

أو هي: ((اللغة اليوميّة التي يتحدّث بها النّاس في حياتهم اليوميّة المعتادة للتعبير عن شؤونهم المختلفة، وهي على هذا تقابل اللغة الفصحى))[4].

فمادة (عمم) في هذه النصوص المختارة تدلّ على الشمول والعموم في الشّيء الذي لم يقف عند الحدود والقوانين التي تمّ وضعها له .

ثانياً ـ التغريب في اللغة والإصطلاح:

أ ـ التغريب لغةً :

وأمّا مادة (غرب) فقد جاء عنها في (لسان العرب): ((التغريب: النّفيُ عن البلد .

---

(١) الصحاح ٥/ ١٩٩٣ (عمم).

(٢) لسان العرب ١٢/ ٤٢٦ (عمم).

(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٦٢٩ .

(٤) فقه اللغة العربية ٣٥٥، ينظر: الأسلوب ١٠ .

وغَرَ بَ، أي: بَعُدَ، ويقال: أغْرُب عنِّي، أي: تَباعَد))[1].

وفيه أيضاً: ((الغَـريبُ: الغـامض مـن الكـلام، وكلمة غريبة، وقد غَرُ بَت، وهـو من ذلك))[2].

ب ـ التغريب اصطلاحاً:

جاء في (الكليات) للكفوي: ((الْغَرِيب: كل شَيْء فِيمَا بَين جنسه عديم النظير فَهُوَ غَرِيب))[3].

فهذه المادة تدلّ على البعد والغموض، أي: البعد عن ما كان عليه الشّيء من القوانين والأصول، فالغامض من الكلام هو ما بعدت أصوله وسننه التي وُضِعت له عنه، ومنه اللغة العاميّة لأنّها سارت على غير سُنن العربية الفصحى .

ثالثاً ـ الإزدواجيّة بين الفصحى والعاميّة:

إنّ اللغات الأنسانية جميعاً التي نشأت في أماكن مختلفة لم تبقَ محتفظة بأصولها الأولى التي وضعت لها على شكل قواعد وقوانين، وإنّما تشعّبت واختلفت بسبب اتساعها وضربها في أنحاء مختلفة ومتباينة من أماكن وجودها، فأصبحت لهذه اللغات لهجات تختلف عنها مثلما تختلف بينها في كثير مـن المسائل اللغوية؛ وذلك بحسب تأثر هـذه اللغات بالبيئات الـتي حلـّت بـها، فمنها ما يكون تأثير هذه البيئات عليها قليلاً لا يصل إلى حدّ الموت أو التغريب، كما في اللهجات العربية التي كانت قريبة من العربية الفصحى، ومنها ما يكون تأثير هذه البيئات عليها كبيراً وصل إلى حدّ الموت أو التغريب كما في اللغة اللاتينية التي ((كانت هي اللغة الأدبية في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا في العصور

(١) لسان العرب ١/ ٦٣٩ (غرب)، ينظر: الجمهرة ١/ ٣٢١ (غرب).
(٢) لسان العرب ١/ ٦٤٠ (غرب)، ينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٦٤٧ (غرب).
(٣) الكليات (للكفوي) ٦٦٣.

الوسطى، وكانت العاميات المنتشرة في هذه البلاد، هي اللهجات الإيطالية والفرنسية والإسبانية، وهي عاميات لاتينية تشبه العاميات العربية في صلتها بالفصحى . وقد أدّى استخدام الأدباء والشعراء لهذه العاميات بعد ذلك في إيطاليا وفرنسا واسبانيا وتركهم اللغة اللاتينية الأدبية الأم إلى موت هذه اللغة، وانسلاخ العاميات عنها وتكوّن اللغات الإيطالية والفرنسية والإسبانية))[1].

ولم تكن اللغة العربية بدعاً من هذه اللغات بل هي كغيرها في هذا المجال، لها لغة فصحى مشتركة بين أبنائها، ولها لهجات مختلفة تختصُّ بها كلّ قبيلة من قبائلها، وهذه اللهجات لم تتكوّن إلاّ بعد أن توسّعت العربية وضربت في أماكن مختلفة من أرجاء الوطن العربي، ومع هذا فهي لا تزال تحتفظ بأصول لغتها الأم . فهذه اللهجات المختلفة للقبائل هي ما يقابلها في العصر الحديث ما يُسمَّى بـ (اللهجات العربية العاميّة أو الحديثة).

تقول الدكتورة نفّوسة زكريا: ((ووجود العاميّة بجانب الفصحى على ما بينهما من اختلاف، ظاهرة طبيعيّة في كلّ اللغات ،...، ونحن لو تتبّعنا تاريخ اللغة العربية لوجدنا هذه الظاهرة تلازمها منذ أقدم عصورها. فاللغة العربية التي انقسم المتكلمون بها منذ أقدم عصورها إلى قبائل مُتعدّدة اختصّت كلٌ منها بلهجة متميّزة عن الأخرى في بعض مظاهرها، كانت لهم لغة أدبية موحدة؛ ذلك أنّ لهجة من لهجاتهم وهي اللهجة القرشية استطاعت أنْ تتغلّب على لهجات القبائل المتعدّدة ،...، وقد ترتّب على تغلّبها على بقيّة اللهجات العربية أنْ أصبحت لغة الأدب عند جميع القبائل العربية ،...، وقد تمّت لها هذه السّيادة الأدبية قبل نزول القرآن ،...، هذه اللغة التي وصلت إلينا في عنفوان اكتمالها

(١) بحوث ومقالات في اللغة ١٧٥ .

وعظمتها في أقدم ما وصل إلينا من آثارها وهو الأدب الجاهلي، لم تكن هي اللغة التي يتحدّث بها النّاس، كما أنّها لم تكن بعيدة عنها بُعد عامّيّتنا عن فصحتنا، كما يتّضح فيما ورد في كتب النّحو والأدب من شواهد عن اختلاف لهجات المحادثة العربية، تلك اللهجات التي غلبت على الرّجز الذي انقطعت صلتنا بألفاظه وأساليبه لأنّه كان صورة من لغة الحديث التي خضعت للتطوّر والتغيير)) [1].

فهذه العاميات لها ارتباط وثيق بلغتها الأم وإن اختلفت في الأصوات والصيغ والتراكيب، ولو نظرنا إلى معجم (قاموس ردّ العامّيّ إلى الفصيح) للشيخ أحمد رضا، نظرة تأنٍ وتدبّر لاتضح لك الإرتباط بصورة جلية لا شكّ فيه في أكثر ألفاظه . بل إنّه لا مجال للشكّ أصلاً في قوّة هذا الإرتباط إذا ما تصفّحت (معجم الألفاظ العاميّة ذات الحقيقة والأصول العربية) للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، الذي ذكر فيه الألفاظ الدارجة في عامّيّتنا وصلتها بالعربية الفصحى، مرتّباً ترتيباً ألفبائيّاً . يقول في مقدّمته الأولى: ((ومما لا شكّ فيه أنّ الكثرة الكبرى من الألفاظ العاميّة، إمّا عربية قرشيّة صحيحة، وإمّا محرّفة عنها تحريفاً قليلاً، وإمّا عربية من لهجات قبائل أخرى غير قريش أو محرّفة عنها تحريفاً قليلاً ،...، فهي من ألفاظ الفصحى، وتحتل أماكن في معاجمنا، وزيادة على هذا فهي حيّة يتداولها النّاس))[2].

وسأقتصر على مثالين اثنين لبيان هذا الإرتباط بين العاميّة والفصحى، فنحن في عامّيّتنا نقول: (البَالَة) بتفخيم اللام ونعني بها الكيس الكبير الذي تُوضَع فيه الأثواب وغيرها، ونحسبها من الألفاظ العاميّة، في حين أنّها عربية فصيحة لها أصل

(١) تاريخ الدعوة إلى العاميّة ٣ـ٤.

(٢) معجم الألفاظ العاميّة ذات الحقيقة والأصول العربية ١٠.

عربي، جاء في (التهذيب): ((البَالُ: جَمْعُ البَالَة، وَهِيَ الجِرَاب الضَّخْم))[1]. وفي (لسان العرب): ((والبَالَة: القارُورة والجِرَاب))[2].

ومن عامّيّتنا كذلك لفظة (ارهَيِّف) ونعني بها رقيق القلب، وهي لفظة عربية فصيحة، جاء في (شمس العلوم): ((سيفٌ رهيفٌ، أي: رقيقٌ))[3]. وفي (لسان العرب): ((الرَّهَفُ: مَصْدَرُ الشَّيْءِ الرَّهِيف وَهُوَ اللَّطيف الرَّقِيقُ ،...، وَرَجُلٌ مُرْهَفٌ: رَقِيقٌ ،...، وأَرْهَفْتُ سَيْفِي أَي رَقَّقْتُه، فَهُوَ مُرْهَف.))[4].

فلكلّ أمّـةٍ لغتـان ((أحدهما يستخدمها العامّة وحثالة السوق في مخاطباتهم ومعاملاتهم، وسائر شؤونهم، والأخرى يتحلّى بها الخاصّة من العلماء والأدباء وذوي المكانة والسؤدد، وهي لغة التأليف والتدوين))[5].

وذهب الأستاذ طه الراوي إلى أنّ هاتين اللغتين تتفاوت ((باختلاف الأمم فَرُبَّ أمّة تقـاربت لغتـاهـا فتصافحتا، وهنـاك أمم اتسعت مسافـة الخـلق بين لغتيهـا اتساعـاً كاد يقـطـع لحمة النسب بينهما . وقد قضى الله أن تكون لغة (أبناء الضّاد) من هذا الطراز. فإنّ لغتنا العاميّة ابتعدت عن الفصحى مراحل، وتشعّبت أفانينها، فأصبحت طرائق قدداً))[6].

وهذا الذي ذهب إليه العلامة طه الرّاوي من أنّ العاميات العربية قد ابتعدت عن الفصحى وتشعّبت واصبحت طرائق قددا، لا يمكن أن يُطبّق على جميع مراحل

(١) تهذيب اللغة ١٥/ ٢٨٢ (بول).
(٢) لسان العرب ١١/ ٧٥ (بول).
(٣) شمس العلوم ٤/ ٢٦٥٥.
(٤) لسان العرب ٩/ ١٢٨ (رهف)
(٥) نظرات في اللغة والنحو ٨١ .
(٦) نظرات في اللغة والنحو ٨١ .

العاميات منذ نشأتها وإلى العصر الحديث، وذالك لأنّ العاميات نوعان ((بدأ النوع الأوّل يتشكّل في عصر الفتوحات نتيجة لقاء اللهجات العربية باللغات السائدة في الأمصار، ويمتاز هذا النوع بقربه من الفصيحة ونهوضه بمهمة التفاهم بين المسلمين في المجتمع الإسلامي الجديد، أمّا النوع الثاني فقد بدأ يتشكّل حين استقرّت الفتوحات وضعف الحكم العربي وشرعت العناصر الأعجمية تتسنّم مقاليد السلطة في المجتمع الاسلامي، والسّمة الرئيسة لهذا النوع هي ابتعاده النّسبي عن الفصيحة وتأثّره الكبير بالفارسية والتركية والناطقين بهما، وهذا هو النوع الذي استمر يتفاعل مع المؤثرات الأجنبية حتى بدايات القرن العشرين، كما أنّه النوع المرذول الذي تنصرف إليه أذهان الغُيُر على اللغة العربية في الوقت الراهن، وقد نهض هذا النوع بمهمة التفاهم بين الناس في المجتمع العربي شأن النوع الأوّل، كما بقي مثله يحمل إرثه من اللهجات العربية واللغات الأصلية في الأقطار العربية))[1]. فما ذهب إليه العلامة طه الرّاوي يصدق على النوع الثاني الذي تأثّر تأثّراً كبيراً باللغات الأخرى كالفارسية والتركية وغيرهما، وبقدر تأثّرها بهذا اللحن وكثرة الدّخيل والرّكيك والمحرّف من التعبيرات المفعمة بالرّطنات الأعجمية يكون قربها من الفصحى أو بعدها عنها . ومع هذا تبقى العاميات المختلفة تحمل في ثناياها أصول لغتها الأم .

وقد اسْتُغِلّت هذه الازدواجية بين الفصحى والعاميّة في اللغة العربية بأبشع استغلال من قِبَل أعدائها الذين أرادوا لها أن تكون كلغاتهم المشتّتة التي لا تَمتُّ بصلة مع لغتها الأم، ومن قِبَلِ أذنابهم الذين ينتسبون إلى العرب بأسمائهم فقط من دون قلوبهم: كسلامة موسى، وعبد العزيز فهمي، وأنيس فريحة، وسعيد عقل، وغيرهم، فقد رأى

(١) اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث ٢١ .

هؤلاء أنّ هذه الازدواجية هي ((حالة شاذة لا يصح السكوت عليها وينبغي تدبير وسيلة لعلاجها))[1]. وهذا العلاج الفاسد سنُبيّن خطره في المبحث الثاني إن شاء الله .

فهذه الازدواجية هي ((في أصلها ظاهرة طبيعية، تعرفها الحياة في وجود لغة عليا للفكر والأدب والثقافة، ولهجات محليات التعامل . وقد عرفت العربية هذه الظاهرة، من قديمها البعيد حين كانت في مهدها بالجزيرة لم تخرج منه، وظلت اللهجات المحلية تعيش إلى جنب الفصحى العالية المشتركة في العصر الإسلامي الأوّل قبل تعرّب الشعوب الإسلامية))[2].

❊ ❊ ❊

(١) فقه اللغة (د. وافي) ١٥٤ .
(٢) لغتنا والحياة ٩٥ .

المبحث الأوّل
العاميّة في العصر القديم

نشأة العاميّة :-

كان اللحن[1] الذي ظهر على ألسنة الناس لا سيّما بعد ظهور الإسلام البذرة الأولى للغة العاميّة، يوم أخذ الناس على اختلاف قوميّاتهم يدخلون في هذا الدين الجديد أفواجاً أفواجا، ومنهم: الفارسي، والقبطي، والرومي، والحبشي، وغيرهم الكثير مِمَّن تختلف لغاتهم وطبائعهم عن لغة العرب وطبائعها، فأخذوا يتطبّعون على لغة العرب من أجل الوصول إلى اتقان لغة القرآن الكريم شغفاً به لأنّه أُنزل بلسان عربي، فبدأ المولّد والدخيل من الألفاظ والأساليب والتراكيب الأعجمية المستهجنة تدبُّ داخل هذه اللغة كدبيب النمل حتى كثُر وأصبح لغة في اللحن مع تقدّم الزمن بعد أن كان لحناً في اللغة، ومِمَّا لا شكّ فيه أنّ هذا اللحن بدأ يتسرّب إلى عامة العرب قبل خاصتهم؛ لأنّهم أكثر الناس اختلاطاً بغيرهم من الأمم الأخرى، أي: أنّه كان في ((بادئ الأمر قاصراً على ألسن زعانف المحترفين من الطبقات الوضيعة، وأخلاط السوقة، أمّا العربي المحض فقد كان يستهجن اللحن ويعدّه من أشنع الهنّات))[2].

قال الأستاذ الرافعي في نشأة اللغة العاميّة: ((وهذه هي اللغة التي خلفت الفصحى في المنطق الفطري، وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة، ثمّ صارت بالتصرّف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلّة بتكوينها وصفاتها المُقوّمة لها، وعادت لغةً في اللحن بعد أن كانت لحناً في اللغة ،...، إذ هو أصلها ومادّتها، بل هو

(١) اللحن: - اللَّحْنُ بسكون الحاء إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية . مقاييس اللغة ٥/ ٢٣٩ (لحن)، ينظر: لسان العرب ١٣/ ٣٨٠ (لحن).

(٢) نظرات في اللغة والنحو ٨٢ - ٨٣ .

العاميّة الأولى، لأنّه تنويع في الفصيح غير طبيعي))[1].

وفضلاً عن اللحن، يُعدّ التطور الحضاري السبب الرئيس الثاني الذي ساعد على ظهور العاميّة وانتشارها في مناطق واسعة من البلاد العربية، فقد كان العلماء لا يأحذون من الأعراب الذين كانوا يطرءون على الحضر؛ وذلك لأنّ طبائعهم قد رقَّت وفصاحتهم قد ضعُفت فدخل اللحن وعِلل الإعراب إلى لغتهم؛ وكلّ ذلك بسبب الإغراق ((في علل الحضارة وأسبابها، فقد ذكروا أن أبا عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) استضعف يومًا فصاحة أبي خيرة العدوي الأعرابي، فسأله: كيف تقول: حفرت الإران[2]؟ فقال: حفرت إرانًا. فقال له أبو عمرو: ألان جلدك يا أبا خيرة حين تحضرت!، وهكذا كانوا: إذا ارتابوا بفصاحة أعرابي وظنوا أن جلده قد لان وذهب جفاؤه الذي يعدونه مادة الفصاحة، وضعوا له قياسا غير صحيح وسألوه عنه، فإن نطق به طرحوه، وإلا كان عندهم بتلك المنزلة))[3]. ومن المعلوم أنّ العصر العباسي كان أكثر ازدهاراً وتطوّراً من العصر الإسلامي والأموي، لذالك طغت فيه العاميّة وأصبحت لغة هذا العصر إلاّ لغة العلوم والآداب، أي: أنّه ((كلّما تقدّمت البلاد في مذاهب الترف وتقلبت في أعطاف الرقة، بلغت مثل ذلك من العامية، حتى صارت الأندلس - وهي التي انفردت بمشاهير النحاة الذين أعادوا عصر الخليل وسيبويه ـ تكاد تكون عامية محضة))[4].

---

(١) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٣٤ .

(٢) الإران: ((تَابُوتُ الْمَوْتَى. أَبو عَمْرو: الإرانُ تابوتُ خَشَب)) لسان العرب ١٣/ ١٥ (أرن)، وكان أبو عمرو يقصد (الإرَةَ)، وهي ((الحُفْرَة لِلنَّارِ)) لسان العًرب ٥/ ٢٧١ (وأر).

(٣) تأريخ آداب العرب ١/ ١٦١.

(٤) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٤٤ .

وسأتكلّم عن اللغة العاميّة بحسب العصور التي وضعها مؤرخوا الأدب العربي، لا سيّما بعد ظهورها على ألسنة الناس، أي: من العصر الإسلامي؛ لكي تتضح لنا صورة هذه اللغة في كلّ عصر من العصور، كيف بدأت ؟ وكيف كان انتشارها ؟ وكيف كانت حياتها مع الفصحى ؟ وهل كانت تمثل عنصراً فعّالاً في تغريب العربية الفصحى آنذاك؟.

١ ـ العاميّة في العصر الإسلامي والأموي:

يُعدّ الإسلام ثورة هائلة أصاب كلّ مفاصل الحياة في الجزيرة العربية وغيرها من بلاد العرب، تغيّرت به حياتهم وطبائعهم ومعاملاتهم لما رأوا فيه من العدل والمساواة والحرية وحقن الدماء وغيرها، ولّما كانت هذه هي صفات هذا الدين أخذ الناس على اختلاف قوميّاتهم الأعجمية الدخول فيه من دون النظر إلى القوميّة أو اللون؛ لكي يتمكنوا من العيش بحريّة في ظل هذا الدين الجديد، ولّما كَثُر الداخلون إلى هذا الدين ظهر اللحن وشاع بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأعجمية الأخرى ، فكان الإختلاط السبب الرئيس في نشوء البذرة الأولى للغة العاميّة ألا وهو اللحن .

قال أبو بكر الزُبيدي: ((ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليّتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجاً، وأقبلوا إليه أرسالاً[1]، واجتمعت فيه الألسنة المتفرّقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حلْيها، والموضّح لمعانيها، فتفطّن لذالك مَنْ نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب))[2].

والبوادر الأولى لظهور اللحن ظهرت على مسمع النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد

(١) أَرسَالاً: تبع بعضهم بعضاً، أي: جماعات . مقاييس اللغة ٢/ ٣٩٢ (رسل)، ينظر: أساس البلاغة ١/ ٣٥٣ (رسل).

(٢) طبقات النحويين واللغويين ١١ .

روت المصادر أنّ رجلاً لحـن بحضـرته فقـال عليه الصلاة والسلام: ((إرشدوا أخاكم فقد ضلّ))[1]، ولو كان ((اللحن معروفاً في العرب قبل ذلك العهد، مستقّر الأسباب التي يكون عنها، لجاءت عبارة الحديث على غير هذا الوجه؛ لأنّ الضلال خطأ كبير، والإرشاد صواب أكبر منه في معنى التّضاد، بل إنّ عبارة الحديث تكاد تنطق بأنّ ذلك اللحن كان أوّل لحن سمعه أفصح العرب – صلى الله عليه وسلم – ،...))[2].

وهكذا بدأ اللحن ينتشر على ألسنة الناس بعد عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – فهذا أبـو بكـر – رضي الله عنه – كان يقول: ((لأن أقرأ فأُسقِط أحبُّ إليَّ من أن أقرأ فألحن))[3]، والنّص يدلّ على تفشّي اللحن بين الناس ولا سيّما في قراءة القرآن .

ولّما تقدّم الفتح الإسلامي في زمن عمر – رضي الله عنه – فَفُتِحت بلاد فارس والرّوم كثُر اللحن، وكان العرب الأقحاح بطبائعهم يكرهون اللحن وينتقصون من أهله ويُبعدونهم عنهم، ومن ذلك ما فعله عمر – رضي الله عنه – مع كاتب أبي موسى عندما كتب كتاباً إلى عمر – رضي الله عنه – فقال فيه: (من أبو موسى)، فكتب عمر – رضي الله عنه – إلى عاملـه: ((سلام عليـك، أمّـا بعد فاضـرب كـاتبـك سوطاً واحداً، وأخّر عطاءه سنة))[4]، أو ((إذا أتاك كتابي هذا، فاجلده سوطاً واعزله عن عملك))[5]، فهذان النّصّان وغيرهما من النّصوص التي رُوِيَت عنه – رضي الله عنه – تدلّ على إلمامه بأساليب العـربية ودقائقهـا، إذ كان من أشدّ النـاس حـرصاً علـى نقائهـا وسلامـة أساليبها من

(١) المزهر ٢/ ٣٤١، ينظر: الخصائص ٢/ ١٠، وكنز العمال ١/ ٦١١ .
(٢) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٣٧ .
(٣) المزهر ٢/ ٣٤١ .
(٤) مراتب النحويين ٦، ينظر: تأريخ آداب العرب ١/ ٢٣٧- ٢٣٨ .
(٥) كنز العمال ١٠/ ٣٠٩ .

الخطأ والغريب والدخيل[1]، وكان يحثّ على تعلّمها، فقد رُوِي عنه - رضي الله عنه - أنّه قال: ((عليكم بالعربية فإنّها تثبت العقل، وتزيد في المروءة))[2].

وهكذا بدأ اللحن يتوسّع مع توسّع الفتوحات الإسلامية، ودخول الجماعات الأعجميّة من عَبيدٍ وخُدّم وتجّارٍ وطُهاةٍ وجندٍ وأسرى وغيرهم إلى معسكرات الفاتحين وبيوتهم وبلدانهم، فوجدوا أنفسهم وسط جوٍّ من اللغة العربية فاضطرّوا إلى ((استعمال لسان السّادة ولهجتهم، في هذا لقيت العربية على لسان غير العرب تغييرات هدّدت بالمسخ صورة وَقْعِها وَجِرْسِها، وطبيعة تكوينها وتركيبها في الصّميم))[3].

وما إن آل أمر الخلافة إلى الدولة الأموية حتى أزداد اللحن وانتشر بين العامة والخاصّة ولم يسلم منه حتى الوزراء والأمراء، وقد كان بنو مروان ((يلزمون أولادهم البادية ليُنشِئوهم هناك على تقويم اللسان وإخلاص المنطق))[4]؛ وذلك لأنّ الدولة الأموية كانت تعدُّ اللحن من أقبح الهجنة، فضلاً عن ذلك أنّها قامت على العصبية العربية فلا تزال على حميّتها الأولى إلى أن سقطت عام ١٣٢هـ.

ولمّا كانت عصبية هذه الدولة للعربية والعرب أدّى ذلك إلى تحريض طبقات الموالي ودفعهم إلى التسامي والتعالي من أجل مجاراة الطبقة السائدة فيما تفعل، فأصبحت سلامة اللغة أمراً من أمور التربية والتعليم، فقويت آمال غير العرب في أن يستبدلوا اللهجة الدّارجة بالعربية الفصحى في محيطهم آنذاك، فأقبلوا ((على النحو والعلوم وأولعوا بها، حتى خرج منهم فقهاء الأمصار جميعاً في عصر واحد؛ ولولا خوفهم معرّة اللحن ما ثبتوا

(١) ينظر: العربية ٣٩.
(٢) الإيضاح في علل النحو ٩٦، ينظر: معجم الأدباء ١/ ٢٢.
(٣) العربية ٤٠.
(٤) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٤٠.

على ذلك))[1]، ومن هؤلاء الموالي الفقيه حسن البصري ـ رحمه الله ـ، فقد أعانت هذه العصبية للدولة الأموية بأن تكون العاميّة قريبة من الفصحى في هذه المرحلة من حياتها .

ومع هذا فقد أحصوا الذين لم يُسمع منهم اللحن في هذا العهد، وهم ((عبد الملك بن مروان، والشعبي، والحسن البصري، وأيوب بن القرية))[2].

ومن الأمراء الذين كانوا يلحنون (الوليد بن عبد الملك)، جاء في (البيان والتبيين): ((وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين، ولم يكن في ولده أفصح من هشام ومسلمة))[3].

ومن البلغاء الذين كانوا يلحنون ((خالد بن عبد الله القسري، وخالد بن صفوان، وعيسى بن المدور، وكان الحجاج بن يوسف يلحن أيضاً))[4]. وهكذا بدأ اللحن يتسرّب إلى الخاصّة من أمراء وبلغاء وعلماء وشعراء هذا العصر[5].

ومن الأمثلة على العاميّة في هذا العصر ما روي أنّ الحجاج قال ((لرجلٍ من العجم نخّاس[6]: أتبيع الدّواب المعيبة من جند السلطان ؟ فقال: شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مداينها وكما تجئ تكون، فقال الحجاج: ما تقول؟ ففسّروا له ذلك، فضحك وكان لا يضحك))[7]، أي: أنّ هذه الدّواب وصلت على ما هي عليه من الرّداءة من شركائه في

(١) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٥٧، ينظر: العربية ٥٩.
(٢) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٤٠، ينظر: المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام ١٧/ ٢٣ .
(٣) البيان والتبيين ٢/ ٢٠٥، ينظر: المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام ١٧/ ٢٤ .
(٤) البيان والتبيين ٢/ ٢٢٠، ينظر: تأريخ آداب العرب ١/ ٢٤٠.
(٥) ينظر: العربية ٤٥- ٧٣ .
(٦) النخّاس: بيّاع الدّواب . القاموس المحيط ٥٧٦ (نخس).
(٧) عيون الاخبار ٢/ ١٧٥- ١٧٦ .

الأهواز والمدائن[1]، ويدلّ ضحك الحجاج على عبارة النخّاس التي توضّح مقدار تأثّر العربية بمنطق هؤلاء الأعاجم، فتركيب هذه العبارة غريب وبعيد كلّ البعد عن نظام الجملة العربية .

٢ ـ العاميّة في العصر العبّاسي :

أخذت العاميّة تكتسب مناطق جديدة بسبب التغيّرات السياسية والاقتصادية التي أحدثتها سقوط الدولة العربية (الأموية)، إلاّ أنّ الأوساط الأدبية بقيت بعيدة عن هذا التأثّر .

قال الإستاذ الرافعي: ((فلمّا جاءت الدولة العبّاسية وكان قيامها بنصرة الفرس – وخصوصاً أهل خرسان، حتى لقبوها بالدولة الخرسانية الأعجمية – ضعفت العصبية للعرب بما سكن من سورتهم وفتئ من حدتهم؛ فكان ذلك فتقاً في العربية أيضاً؛ ولم ينتصف القرن الثالث حتى اختلط العرب بالفرس والترك والفراعنة وغيرهم من طبقات الأعاجم الذين اتخذوا للدولة، وكان ذلك بدء شيوع الألسنة الحضرية التي هي لهجات العامية))[2].

فالإستاذ الرافعي يُرجع انتشار العاميّة في هذا العصر إلى سببين اثنين، الأوّل: ضعف العصبية العربية؛ لأنّ الدولة قامت على نصرة الفرس، على العكس مِمَّا كانت عليه الدولةالأموية من التعصّب للعرب ورأينا أنّ الأعاجم كانو يطلبون العلوم لا سيَّما العربية من أجل الوصول إلى طبقات السادة آنذاك . والثاني: اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم ولا سيَّما بعد أن ملكوا زمام أمور هذه الدولة فزاغ اللسان العربي عن قواعد وقوانين العربية .

(١) ينظر: العربية ٤٠ .
(٢) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٥٧ .

وقد بقي الحكم في العصر العبّاسي الأوّل الذي انتهى بخلافة الواثق عام ٢٣٢هـ، والعصر العبّاسي الثاني بيد العرب إلى عام ٣٣٤هـ، إذ استولى فيها بنو بويه على بغداد وأصبحت الخلافة العبّاسية لا تملك من أمر الخلافة إلاّ الاسم منذ تأريخ خلافتها . وبهذا التأريخ يبدأ العصر العبّاسي الثالث الذي امتدّ إلى سقوط بغداد بيد التتر عام ٦٥٦هـ[١].

ففي العصر العبّاسي الأوّل ((كانت الأسرة القديمة جدّاً قريبة إلى أهل البادية، بحيث كانت تجد مدخلاً مباشراً إلى عالم تفكيرهم، وكانت تنطق بلسانهم وتُحسِن فهم أشعارهم، حقّاً لقد كان العبّاسيون أيضاً يتمدّحون بأصلهم العربي ويرفعون نسب سلالتهم إلى العبّاس عمّ الرسول - صلى الله عليه وسلّم -، بيد أنّهم بَعَدوا عن حياة البدو بُعْداً كبيراً، كما لم يفعل أمويٌّ أيّاً كان))[٢].

ومن مظاهر هذا العصر أنّ الذين استلموا مقاليد الدوائر الإسلامية الجديدة غير العربية الأصل في هذا العهد كانوا يشعرون بأقلّية الصلة النفسية التي تربط حياة العرب وطبيعتهم ((فهم لم يكونوا يستطيعون - حتى ولو استخدموا العربية - أن ينطقوا كما كان البدو ينطقون، بل صبّوا أفكاراً حديثة في قوالب اللغة العربية، وملأوها على هذا النحو بمادة جديدة))[٣]، فَأَذِنَ ((بشروق عهد جديد في تأريخ اللغة العربية، دعا إليه الانتقال من حياة البداوة إلى حضارة المدن، وتغلغل غير العرب في مناطق الأدب، وذلك الطابع الوحشي للعربية القديمة بثروتها الفيّاضة في الألفاظ والقوالب، تراجع في ذلك العهد أمام أسلوب منوّق مهذّب، لا يُسبب استواؤه وسهولته صعوبات ذات بالٍ للإفهام، وهذه اللغة السهلة المنسكبة الواضحة سرعان ما احتُذِيت واستُعمِلت في

(١) ينظر: تأريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ١٤ .
(٢) العربية ٨٠ .
(٣) العربية ٨١ .

الأدب من قِبَل المثقّفين جميعاً في العالم الإسلامي، دون تمييز بين أصل وجنس، ولا بين لغة أصليّة ولهجة وطنية خاصّة ،...، بيد أنّ كلّ هذا الأنسجام والأستواء في القوالب والأساليب، وذلك الاطراد السطحي في موافقة القواعد، لم يكن ليستطيع أن يخدعنا أنّ القالب الدّاخلي والأسلوب الحقيقي للغة الدولة الجديدة كان يحمل سمات مولّدة))[1].

ومن هذه الأمثلة الكثيرة على اللغة المولّدة(٢) والتي تمثّل الاطراد السطحي في موافقة قواعد العربية، أنّه ((اجتمع أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد، فقال: عمرو إنّ الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً وإنّه مُنجِز وعده ووعيده . فقال له أبو عمرو: أنت أعجم ! لا أقول إنّك أعجم اللسان، ولكنك أعجم القلب ! أما تعلم، ويحك ! أنّ العرب تعدّ إنجاز الوعد مكرمة، وترك إيقاع الوعيد مكرمة ؟ ثمّ أنشده:

وإنّـي وإنْ أَوعَدتُـهُ أو وَعَدتُـهُ لَمُخلِفُ إيعَـادِي وَمُنجِزُ وَعْـدِي[3]))[4].

ومع هذه الألفاظ المولّدة فقد كان الحسّ المرهف بطبيعة العربية لا يزال موجوداً في هذا العصر من هذا العهد .

وما أن جاء منتصف القرن الثالث حتى فشت العامية على ألسنة المُتحضّرين من العرب والنازلين في الأسواق وغيرها، وأفضل من صوّر لنا هذا الفساد وشيوعه في منتصف هذا القرن هو أبو عمرو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في كتابه (البيان والتبيين) إذ عقد فيه باباً عن اللحن[5]، ذكر فيه أنواعه المختلفة ((على شتّى الألوان والأحوال من

---

(١) العربية ٨٤- ٨٥ .

(٢) ينظر: العربية ٧٧- ١٤٧ .

(٣) البيت لعامر بن الطفيل في ديوانه ٥٨ . وهو برواية الديوان :

وإنّي إنْ أَوْعَدتُهُ أَوْ وَعَدتُهُ لأُخْلِفُ إيعَادِي وأُنْجِزُ مَوعِدي

(٤) عيون الأخبار ٢/ ١٥٨ .

(٥) ينظر: البيان والتبيين ١/ ١٦١- ١٦٥ .

تعسّر مخارج الحروف إلى المخالفات الشنيعة لقواعد النحو والتصريف إلى التساهل في اختيار الألفاظ إلى الخروج على الأساليب))[1].

ومِمَّا جاء في هذا الباب من اللحن (العاميّة): ((قولهم: ذهبت إلى أبو زبد ،ورأيت أبي عمرو، ومتى وجد النحويون أعرابياً يفهم هذا أو أشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منه: لأنّ ذلك يدلّ على طول إقامته في الدّار التي تفسد اللغة وتنقص البيان))[2].

ومِمَّا جاء فيه أيضاً: ((قد روى أصحابنا أنّ رجلاً من البلدتين قال لأعرابي: كيف أهلِك، قالها بكسر اللام، قال صلباً، لأنّه أجابه على فهمه، ولم يعلم أنّه أراد المسألة عن أهله وعياله))[3]، فنرى كيف أنّ هذا اللحن أصبح منتشراً في التراكيب كما في المثال الأوّل، والحركات والأصوات كما في المثال الثاني .

وفضلاً عن الجاحظ فهناك عالم آخر رصد هذه اللحون والعاميّات التي لم تكن منتشرة على السنة العامة من العرب والعجم فقط، بل إنّه رصدها في أرقى الأوساط المتمثّلة بكتّاب الدّواوين وشؤون الدولة، ألا وهو ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) فقد كان ((يشكو كثيراً في كتبه من هذه الظاهرة، والذي تُعنى كتبه بأن تُهيئ للكتّاب، أي القائمين على الخدمة في الدّواوين والشؤون المدنية في قالب واضح سهل المتناول، تلك العدّة من المعارف الايجابية التي لا غنى لهم عنها في القيام بأعمالهم))[4].

فألّف في هذا المضمار كتابه (أدب الكاتب) الذي وجّه فيه الكُتّاب نحو التعبير الصحيح وتجنّب الأخطاء التي كانت منتشرة في الأساليب اللغوية المختلفة، فكتابه هذا

(١) العربية ١٣٧ .
(٢) البيان والتبيين ١/ ١٦٢- ١٦٣ .
(٣) البيان والتبيين ١/ ١٦٣ .
(٤) العربية ١٤٨.

يدلّ على ضعف المستوى الثقافي للغة العربية لدى هذه الطبقة، أي: طبقات الكُتّاب في عصره .

قال ابـن قتيبة: ((فإنيِّ رأيتُ كثيراً من كُتَّاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدَّعَةَ [1]، واستوطَؤُا مركَبَ العجز، وَأعفَوْ أنفسهم من كدِّ النظر، وقلوبَهم من تعب التفكر، حين نالوا الدرَك بغير سبب، وبلغوا البِغْية بغير آلَةٍ، وَلَعمْري كان ذاك فأين همةُ النفسِ، وأين الأَنَفَةُ من مُجَانسة البهائم، وأيُّ موقفٍ أخْزَى لصاحبه من موقفِ رجلٍ من الكتَّاب اصطفـاه بعضُ الخلفاء لنفسه وارتضاه، فقـرأ عليه يومًا كتابًا وفي الكتاب (ومُطِرْنَا مطراً كثُرَ عنه الْكَلاْ)، فقال له الخليفة ممتحنًا له: وما الكلأ فتردَّدَ في الجواب وتعثّر لسانه ثم قال: لا أدري فقال: سَلْ عنه))[2].

ومِمَّا جاء فيه من الأمثلة في (باب ما جاء ساكناً والعامة تحركه) قال: ((يقال: (وجعلت كلام فُلاَن دَبْرَ أُذُني) بفتـح الدال وتسكين الباء، إذا أنت أعرضت عن كلامه (وجَبَلٌ وَعْرٌ) (رَجُلٌ سَمْحُ) (وبلد وَحْشٌ) ،...، هذا كله بالتسكين (وهي حَلْقَةُ البابِ) (وحَلْقَةُ الْقَوْم) بتسكين اللام، قـال أبـو عمرو الشيبانـي: لا يقـال حَلَقـة في شيء من الكـلام إلا لحَلقَة الشعر جمع حَالِقٍ))[3].

وما أن بزغت شمس القرن الرابع الهجري حتى ازداد فيه انتشار العاميّة ومطاردتها للعربية الفصحى وعزلها عن مناطقها، إلاّ أنّها ((ظلت في الأدب الملكة المُتوّجة التي أُقسم لها يمين الطاعة كلُّ من ادّعى الإنتماء إلى الثقافة بسبب أو نسب، لقد منحت كلّ

(١) الدَّعَة: الراحة والخفض في العيش . ينظر: مقاييس اللغة ٦/ ٩٦ (ودع).
(٢) أدب الكاتب ٦- ٧.
(٣) أدب الكاتب ٢٩٥.

أثر أدبي ثوبه اللائق به))[1].

ففي هذا القرن وبعد سيطرة بني بويه على بغداد عام ٣٣٤هـ انحلّت الدّولة العبّاسية إلى أكثر من عشر دويلات[2]، ولم يبقَ لها من الحكم إلاّ اسمها، وكانت نتيجة ذلك ((أن خسرت العربية في هذه المرحلة الزمنية من مساحة أرضها، على حين انتشرت الأساليب اللغوية المولّدة مُتغلغلة في أرقى الأوساط))[3].

وهكذا فقد ((انضمّت لهجات كلّ أقليم بعضها إلى بعض، وتُألّف مجموعات من اللهجات تمتاز كلّ منها عن الأخرى امتيازاً يختلف، قوة وضعفاً، باشتراكها في كيفية خاصة من الأصوات والصيغ وقوالب التركيب والمادة اللغوية))[4].

يقول الإستاذ أحمد أمين: ((وكان من مظاهر هذا العصر انتشار اللغة العاميّة بجانب الفصحى، فكان لكلّ إقليم اسلامي لغته ولهجته الدّرجتان))[5].

وهذا ابن فارس المتوفى عام (٣٩٥هـ) أي في نهاية هذا القرن، ينقل لنا واقع حال اللغة وما وصل إليه العلماء من فقهاء ومحدّثين من تسرّب العاميّة إلى ألسنتهم، إذ قال: ((وَقَدْ كَانَ الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أَوْ يقرءونه اجتنابَهم بعضَ الذنوب. فأمّا الآن فقد تجوزا حَتَّى أنَّ المحدّث يحدث فليحن. والفقيه يؤلف فيلحن. فإذا نُبِّها قالا: مَا ندري مَا الإعراب وإنّما نحن محدّثون وفقهاء. فهما يُسران بما يُساء بِهِ اللبيب.))[6].

---

(١) العربية ١٥٩.
(٢) ينظر: العربية ١٨١.
(٣) العربية ١٤٨.
(٤) العربية ١٨١.
(٥) ظهر الإسلام ٢/ ٨٨.
(٦) الصاحبي ٣٥.

ويُعدّ كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي (ت ٣٨٠هـ)، أنضج إنتاج للمادة اللغوية في هذا القرن ((فهو يذكر أنّ أصح العربية في جزيرة العرب عند هذيل، ثمّ في قسمي نجد، ثمّ أخيراً بقية الحجاز، على حين يصف بلاد السواحل (الأحقاف) بأنّ لسانهم (وحش)))[١].

ففـي كتابه هذا يصف كلّ أقليم بلسانه، فضلاً عن العبارات المحلّية التي تنتشر في هذا الإقليم، فهو مثلاً يصف عربية العراق بقوله: ((ولغاتهم مختلفة أصحها الكوفية لقربهم من البادية وبعدهم عن النبط ثم هي بعد ذلك حسنة فاسدة بخاصة بغداد، وأمَّا البطائح فنبط لا لسان ولا عقل))[٢]، ويصف عربية مصر بقوله: ((لغتهم عربية غير أنّها ركيكة رخوة وذمّتهم يتحدثون بالقبطية))[٣].

والاختلاف اللغوي يدلّ على الاختـلاف الثقافي المتباين بين العصور المختلفة، ((فلفظة (أثافي)، أي: حجارة المَوقِد [٤] لفظ بدوي، على حين لفظ (مَوقِدة)[٥]،...، مستعمل عند سكان الحضر . زيادة على ذلك يستعمل المقدسي لفظ (ديكْدان)[٦] (ألأثافي أيضاً) الفارسي، في وصف بناء سدّ يأجوج ومأجوج، لإعارة هذا الوصف صيغة محلّية))[٧].

وبالمستوى نفسه الذي نمت فيه العاميّة وانتشرت بين الطبقات الدنيا والوسطى في

(١) أحسن التقاسيم ٩٧، ينظر: العربية ٢٠٣.
(٢) أحسن التقاسيم ١٢٣.
(٣) أحسن التقاسيم ١٨٥.
(٤) ينظر: مقاييس اللغة ١/ ٥٧ (أثف).
(٥) ينظر: لسان العرب ٣/ ٤٦٦ (وقد).
(٦) ينظر: أحسن التقاسيم ٣٦٤، والبلدان ٥٩٨.
(٧) العربية ٢٠٩.

المجتمع كان نظر المثقّفين إلى العربية الفصحى أو لهجات البدو قد تغيّر، إذ إنّ ((الاحتذاء التام للغة البدو، الذي كان مختتم القرن الثاني أسمى مطامح الحضريين المثقّفين، صار على ممر القرن الثالث نوعاً من التقعير الذي يختلف باختلاف الأحوال، بين أن يكون مطلوباً أو داعياً إلى السخرية أو غير لائق))[1].

وأمّا في القرن الرابع حين امتلك العجم سُدّة الحكم وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، جعلوا لغاتهم الأصلية اللغة الرسمية للدولة، وقتصر أمر العربية الفصحى على شؤون العبادة والدين والثّقافة، ((ففسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب، لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنّة اللذين بهما حُفِظ الدين، وصار ذلك مرجّحَاً لبقاء العربية المضرية من الشعر والكلام، إلاّ قليلاً بالأمصار))[2]، فأصبحت الفصحى ((لغة العلماء في مدارسهم والأدبـاء في نواديهم ومحاوراتهم وبعض الأمراء في دواوينهم ومكاتباتهم، وبيدها لواء التأليف والتدوين))[3].

ولّما أفلت شمس القرن الرابع فشا الفساد واضطربت الألسن حتى عمّ أعراب الجزيرة الفصحاء في البوادي، يقول الإستاذ الرافعي: ((فلا سبيل إلى القول إذن بأنّ للعرب فصيحاً وعاميّاً، إلاّ بعد فشوّ هذا الفسادالعربي في منطقهم منذ القرن الخامس، أمّا ما وراء ذلك في بادية العرب فلحن أو لغة لا أكثر))[4].

الشّعُوبيّة والعاميّة :

الشّعوبيّة: هي حركة قام بها ((الذين يصغّرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلاً على

(١) العربية ١٦٨.
(٢) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٥٨.
(٣) نظرات في اللغة والنحو ٨٤.
(٤) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٥٤.

غيرهم.))(١)، فهي نزعة للشعوب غير العربية التي تحاول أن تثبت وجودها وتمايزها وفضائلها ومآثرها وتفوّقها على العرب، فضلاً عن محاولة تشويه دينهم وتزوير تأريخهم وطمس ثقافتهم وإظهار مثالبهم والأنتقاص منهم بكل ما يمكن أن يُظهر تخلّفهم وبعدهم عن الثّقافة حتى في الاسماء، فقد روي أنّ بعض الشعوبيّة قال لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ): ((لِمَ سَمَّت العرب أبناءها بكلب وأوس وأسد وما شاكلها: وسمَّت عبيدها بيُسر وسَعد ويُمن ؟ فقال وأحسن: لأنّها سَمّت أبناءها لأعدائها وسمّت عبيدها لأنفسها.))(٢)، وأوّل من حمل لواء الشعوبيّة هم الفرس(٣).

وقد كان للعرب ((ماض عريق وتاريخ مشرف وأدب يعتزون به، فقد حاول العجم أن يتلمّسوا أسباب القوة في تاريخهم ويبرزوا مافيه من مواقف مشرِّفة يتفنَّون بها ويحاولون فيها التفوق على العرب، وظهرت بداية هذا التنافس في العصر الأموي بصورة خافتة؛ لأنّهم كانوا يخشون بطش الخلفاء، ويهابون سلطانهم فالدولة كانت عربية صميمة،...))(٤).

ولّما كان العرب يعتقدون أنّ تميّزهم عن هذه الشعوب يرجع إلى بلاغتهم وقدرتهم على التعبير بأحسن الألفاظ وأتم المعاني، ذهبت الشعوبيّة إلى الغض من شمائل العربية والأنتقاص من قدرتها التعبيرية. فانتهزت فرصة الضجر من النحو والنحاة، فأخذوا ينتقصون من هذه الدراسة مع تقديم الأدلّة على هذا الأنتقاص، ومن ذلك ما نقله القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) في (صبح الأعشى) من أنّ أبا جفر النّحاس (ت٣٣٨هـ

(١) أساس البلاغة ١/ ٥٠٩.
(٢) فقه اللغة وسرّ العربية ٢٥٧.
(٣) ينظر: المحاسن والأضداد (المقدّمة) ١٥.
(٤) دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوّق ٦٥.

) كان يردّ على الطاعنين على متعلمي العربية، إذ قال: ((قال أبو جعفر النحاس وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمي العربية جهلاً وتعدياً حتى إنّهم يحتجون بما يزعمون أنّ القاسم بن مخيمرة، قال: النحو أوّله شغل وآخره بغي، قال وهذا كلام لا معنى له لأنّ أوّل الفقه شغل، وأوّل الحساب شغل، وكذا أوائل العلوم، أفترى الناس تاركين العلوم من أجل أنّ أولها شغل، قال: وأمّا قوله وآخره بغي إن كان يريد به أنّ صاحب النحو إذا حذقه صار فيه زهو وآستحقر من يلحن فهذا موجود في غيره من العلوم من الفقه وغيره ،...، وإن كان يُريد بالبغي التجاوز فيما لا يحلّ فهذا كلام محال فإنّ النحو إنّما هو العلم باللغة التي نزل بها القرآن وهي لغة النبي...، ثم قال بعد كلام طويل وقد كان الكتّاب فيما مضى أرغب الناس في علم النحو وأكثرهم تعظيما للعلماء حتى دخل فيهم من لا يستحق هذا الاسم فصعب عليه باب العدد فعابوا من أعرب الحساب وبعدت عليهم معرفة الهمزة التي ينضم وينفتح ما قبلها أو تختلف حركتها وحركة ما قبلها ،...، أمّا التعمق في الإعراب والمبالغة فيه فإنّ حكمه في الاستكراه حكم التقعر في الغريب وقد كانوا يذمون من يتعاناه ويسخرون بمن يتعاطاه ،...، ولذلك كان بعض الكتّاب لشدة اقتداره على الإعراب يُعرب كلامه ولا يخيل إلى السامع أنّه يُعرب))[1]، وإنّما نقلت هذا النص الطويل لكي تتضح الصورة التي كانت عليها العربية أمام هذه النزعة الشنيعة التي تريد الإنتقاص من كلّ مقوّماتها التي تفتخر بها.

وهذا هو الزمخشري (ت٥٣٨هـ) من نحاة القرن السادس يردّ على الذين ينتقصون من العربية ويضعون من مقدارها، وأنّهم لا يبتعدون عن الشعوبيّة التي لم تجد إلاّ اللعن

(١) صبح الأعشى ١/ ٢٠٨- ٢٠٩.

والطعن على مرّ العصور، إذ قال: ((ولعلَّ الذين يغضّون من العربية، ويضعون من مقدارها، ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها، حيث لم يجعل خيرة رسله وخير كتبه في عجم خلقه، ولكن في عربه، لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج وزيغا عن سواء المنهج والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم ،...، فهم ملتبسون بالعربية أيّةً سلكوا، غير منفكين منها أينما وجّهوا، كَلٌّ عليها حيثما سُيّروا، ثمّ إنّهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها وتعليمها ويدفعون خصلها، ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها، وينهون عن تعلمها وتعليمها، ويمزقون أديمها ويمضغون لحمها ،...، ويدّعون الإستغناء عنها وإنّهم ليسوا في شِقٍّ منها فإن صح ذلك فما بالهم لا يطلقون اللغة رأسا والإعراب ولا يقطعون بينهما وبينهم الأسباب))[1].

ومنذ ظهور هذه النزعة المناوئة للعرب والعربية انبرى الكثير من العلماء الغيورين على العرب والعربية للتصدّي لها وعلى رأسهم الجاحظ الذي اشتدّت في عصره هذه النزعة، فكبح جماحها في الكثبر من مؤلّفاته فخصص لها رسالة الترك ورسالة فخر السودان على البيضان كما ردّ عليها في الجزء الثالث من كتابه (البيان والتبيين). وفضلاً عن الجاحظ نجد أنّ ابن قتيبة لم يقلُّ شئناً منه في الردّ على هذه النزعة في كتابه (فضل العرب على العجم)[2].

وقد نقل ابن عبد ربّه في (العقد الفريد)[3]، كلام ابن قتيبة في ردّه على الشعوبيّة. فكان هؤلاء وغيرهم يردّون على المثالب التي كانت تطعن بها الشعوبيّة على العرب والعربية [4].

(١) المفصل ٢- ٣.
(٢) ينظر: عيون الأخبار ١/ ٣٧- ٣٨.
(٣) ينظر: العقد الفريد ٣/ ٣٥١- ٣٦٥.
(٤) ينظر: الشعوبية ١٨١- ١٨٤.

ومن النّصوص التي ردّ بها الجاحظ على الشعوبيّة قوله: ((إنّك متى أخذتَ بيد الشعوبي فأدخلته بلاد الأعراب الخلّص، ومعدن الفصاحة التامة، ووقفته على شعر مفلق، أو خطيب مصقع، علم أنّ الذي قلتَ هو الحق، وأبصر الشاهد عيانا. فهذا فرق ما بيننا وبينهم ،...، ثم اعلم أنّك لم ترَ قوما قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصبا، ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة. وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم، وغليان تلك المراجل الفائرة، وتسعّر تلك النيران المضطرمة. ولو عرفوا أخلاق أهل كل مِلّة، وزيّ اهل كل لغة وعللهم، على اختلاف شاراتهم وآلاتهم، وشمائلهم وهيئاتهم، وما علة كل شيء من ذلك، ولم اجتلبوه ولم تكلفوه، لأراحوا أنفسهم، ولخفت مؤونتهم على من خالطهم.))[1].

وعلى الرغم من طغيان هذه اللغة العاميّة في العصر العبّاسي، فأصبح لكلّ إقليم لغته الفصحى والعاميّة، فضلاً عن إعلان اللغة الفارسية اللغة الرسمية للدولة في عهد السلجوقيين (٤٤٧هـ)، إلاّ أنّ هذا كلّه لم يصب اللغة العربية بتغريب أو موت؛ وذلك لأنّ هذا الأعجمي ((قد تمكن من العربية حتى اتخذها لسانه في التعبير عن مشاعره وأفكاره، وعدَّها مَثَلَهُ الأعلى في البيان والبلاغة. وظلّت الأجيال التالية تشعر هذا الشعور بقوة، وكان من أهم ما دعمه أنّ العربية كانت لغة القرآن الكريم؛ فكان الخروج عليها يعد مروقاً من الإسلام ومحاولة لنقضه، وبذلك ظلت العربية شامخة في هذا المحيط الأعجمي حتى بين الزنادقة وأنصار الشعوبية؛ فإنّهم لم يستطيعوا غضًّا منها، بل ظلوا يتخذونها هم ومن حَسُن إسلامهم مَثَلَهم اللغوي والأدبي الرفيع))[2]، فهذا ابن المقفّع (ت١٤٢هـ)،

(١) البيان والتبيين ٣/ ٢٩- ٣٠.

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ١٢٠- ١٢١، ينظر: تحت راية القرآن ١٣.

وبشار بن برد (ت١٦٧هـ)، وعلى الرغم من نزعتهما الشعوبيّة الكبيرة التي كانا يجاهران بها لم يفكر أحد منهما في استعمال لغته الأصلية (الفارسية) وإقامة وزناً لها من الوجهة الأدبية، بل كانا يعتمدان في ذلك على اللغة العربية[١].

٣ ـ العاميّة بعد سقوط بغداد بيد التتر :

لمّا ملك التتر الحكم بسقوط بغداد عام ٦٥٦هـ لم تقوَ العربية الفصحى على مقاومة هذا الغزو الهمجي بكلّ معالمه، ففسدت رسومها وعلاماتها وانطمست أساليبها وذهب أنصارها وحماتها . قال ابن خلدون: ((فلما ملك التتر والمغول بالمشرق، ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجّح، وفسدت اللغة العربية على الإطلاق، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية، بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر، وبلاد الشمال، وبلاد الروم، وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام، إلاّ قليلاً يقع تعليمه صناعياً بالقوانين المتدارسة من علوم العرب، وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك. وربُّما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر والشام والأندلس والمغرب، لبقاء الدين طالباً لها، فانحفظت بعض الشيء. وأمّا في ممالك العراق وما وراءه، فلم يبق له أثر ولا عين، حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي، وكذا تدريسه في المجالس))[٢].

وما برحت هذه الأمم الغازية التي مزقت الثّقافة بكلّ معالمها أن اعتنقت الدين الإسلامي، وبعد أن كانوا أعداء هذه اللغة أصبحوا حماتها، ((فاستعادت العربية شيئاً زهيداً من سلطتها باعتبارها لغة القرآن الشريف))[٣].

وهكذا استمرّت العربية لغة الأدباء والعلماء والكُتّاب على مرّ العصور التي تلت

(١) ينظر: العربية ٨١ – ٨٥ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ٤١٥ـ٤١٦.
(٣) نظرات في اللغة والنحو ٨٤.

سقوط بغداد بيد التتر وإلى لعصر الحديث الذي يبدأ بحكم محمد علي باشا لمصر عام (١٢٢٠هـ) ولا يزال مستمرّاً إلى أيامنا الحاضرة، والذي سنتكلّم عن العاميّة فيه في المبحث القادم، إن شاء الله .

تنقية اللغة العربية :

لم يكن ظهور اللحن في بادئ أمره أمراً خطيراً على العربية الفصحى؛ لأنّه وُلِد في بيئة لا تزال تتذوّق ألفاظ ومعاني العربية الفصحى، ولكن عندما فشا هذا الدّاء وأخذ بالانتشارعلى ألسن الناس ظهر مبدأ تنقية اللغة العربية الذي أراد الحفاظ على نقاء اللغة وصفائها من كلّ ما يعيبها ويُنتَقص منها كحركة مضادّة لهذا الفساد اللغوي .

وقد كان علماء هذه اللغة ساهرين على حراستها متشدّدين في مراقبتها على ما وقع فيهامن الأغلاط والأخطاء في الألسن والكتابة، فهم ((لا يفتأون يسبّون العامة ويلعنون الخاصة لمتابعتهم هؤلاء المجانين في تلك الأوهام الفاضحة، والأغلاط الواضحة، واللحن القبيح، والخطأ الصريح، واللفظ الذي هو معرّة لكاتبه والمتلفظ به))[1].

وفي تراثنا الكثير من المؤلّفات التي وضعها اللغويون للتنبيه على أخطاء العامة والخاصة، فقد وضع هؤلاء قبل نهاية القرن الثالث الهجري كتباً بعنوان (ما تلحن فيه العامة) أو بعناوين قريبة منه أمثال الكسائي (ت١٧٩هـ)، والفرّاء (ت٢٠٧هـ)، والمازني (ت ٢٤٨هـ)، وغيرهم كثير، وهم في ذلك يذكرون الألفاظ التي حرّفتها العامة، ثمّ يذكرون صحّتها وأصلها، وهذا يدلّ على أنّ العاميّة لم تكن قد طغت على الكلام، والدليل على ذلك أنّه قد أمكن حصر ما يلحن فيه هؤلاء، أمّا بعد القرن الثالث الهجري فقد كان يُؤلّف في خاصة المثقّفين بعد أن طغت العاميّة على الكلام، فوقع فيه الكثير من الأمراء

(١) لحن العامة والتطور اللغوي٦٤.

والخطباء والبلغاء، ومن هذه المؤلّفات (ما تلحن فيه الخاصة) لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) و (درّة الغواص في أوهام الخواص) للحريري (ت٥١٦هـ) الذي قال في مقدمة كتابه هذا ((فَإِنِّي رَأَيْت كثيراً مِمَّن تسنموا أسنمة الرتب، وتوسّموا بسمة الأدَب، قد ضاهوا الْعَامَّة فِي بعض مَا يفرط من كَلامهم، وترعف بِهِ مراعف أقلامهم، مِمَّا إِذا عثر عَلَيْهِ، وَأثر عَن المعزو إِلَيْهِ، خفض قدر الْعلية، ووصم ذَا الْحِلْية))[1]، وهناك الكثير من المؤلّفات التي ذكرتها كتب اللغة في هذا المجال[2].

فتشدّد اللغويين في رقابتهم للغة ((كان ضرورياً لكبح التهاون في الفصحى أو الخروج على سُنَنِها، وقد كانوا يمثّلون التيار المحافظ الذي لم يكن منه بُدٌّ لكي يحمي أصالة العربية، في الوقت الذي مضت اللغة فيه تساير الزمن وتستجيب لتجدد الحياة واتساع آفاقها، كي تبقى ولا تموت))[3].

❊ ❊ ❊

(١) درّة الغواص ٩.

(٢) ينظر: تأريخ آداب العرب ١/ ٢٥٦، ولحن العامة والتطور اللغوي ٩٧- ١٠٠، ولغتنا والحياة ٧٨- ٨٠، وعلم اللغة العربية ١١٥- ١١٦.

(٣) لغتنا والحياة ٨٠.

المبحث الثاني
العاميّة في العصر الحديث

بدأ هذا العصر بحكم محمد علي باشا على مصر عام ١٢٢٠هـ ولا يزال مستمرّاً، وعندما استولى محمد على مصر ((أخذ بيد العربية الفصحى، واقالها عثرتها بما أنشأه من المدارس الفنية والمجامع العلمية، والنوادي الأدبية، فجرى ماء الحياة في عروقها، وسرى دمّ الشباب في أغصانها ،...، وكثُر فيها التدوين، وشُيِّدات لها دور العلم ومعاهد الأدب، وكثُر انصارها وحماتها ،...))[١].

وكان الاستعمار الغربي على مرّ السنين يحاول القضاء على العرب والمسلمين بكل ما أوتي من قوة السلاح المتمثل بالحملات العسكرية على الوطن العربي من أجل تمزيقه وجعله بلداناً متنافرة متناحرة تمهيداً لسلب خيراته وثرواته، ولكنّه أدرك فيما بعد أنّ هذه الحملات لم تزد العرب والمسلمين إلاّ قوّةً ولحمةً فيما بينهم فخابت آمالهم في السيطرة على هذا الوطن، فبدأوا يبحثون عن البديل الذي يُلبّي مطالبه ويحقق آمانيهم، فوجدوا أنّ اللغة العاميّة هي السلاح الذي باستطاعته أن يمزق وحدة العرب المتمثلة باللغة العربية في الدرجة الأساس لأنّها هي التي تجمع وتقرّب بلدان هذا الوطن العربي؛ وذلك من خلال ((بلبلة العقل العربي وتشكيكه في نفسه، وتحطيم الرابطة الأولى والأخيرة في حياة العرب وهي (اللغة) بتمزيقها إلى لغات، وإلى تدمير الجسر الذي عاش أربعة عشر قرناً تجمع قلوب الأمم الممتدّة من الشمال البعيد إلى الجنوب القصيّ، ومن الشرق النازح إلى الغرب المتباعد، على كلمة واحدة، وعاطفة واحدة))[٢].

وقد رأينا في المبحث السابق أنّ العاميّة هي حالة طبيعية في كلّ اللغات ومنها العربية،

(١) نظرات في اللغة والنحو ٨٤ - ٨٥.
(٢) أباطيل وأسمار ١/ ١٢١.

ولم تشكّل خطراً على الفصحى من تغريب أو غيره، ولكنّها في العصر االحديث اتُّخِذَت من قبل الاستعمار الغربي كسلاح يُستخدم في القضاء على وحدة العرب . وبدأ دخول هـذا السلاح في الخدمـة مـن خلال الدعوات المشبوهـة التي كـان يدعـوا بهـا أصحابها من الغربيين والمستشرقين ومن تابعهم من العرب إلى استعمال العاميّة ونبذ الفصحى بدعوى جمودها وتعقيدها وتخلّفها عن التطور الحضاري في هذا العصر، وسهولة العاميّة ومرونتها وقدرتها على تلبية حاجات هذا العصر[1]؛ وذلك لقربها من الناس باعتبارها لغة الحوار، وهكذا ((بدأت بذور القضاء على اللغة العربية تلقى في أرضنا، مسخاً للشخصية القومية وعزلاً للأمّة عن ماضي تأريخها وتراثها، وتمزيقاً لوحدتنا اللسانية التي تربطنا على تنائي الديار واختلاف الأقطار))[2].

يقول رافائيل بطي في (مقدّمة) ديوان عبود الكرخي: ((وعلماء الغرب والمستشرقون هم أوّل من بذروا فكرة العاميّة إذ إنّ تنفيذ هذه الفكرة يفتّ في عضد الوحدة العربية، ويباعد بين الأقطار العربية إذ يصبح بعد زمن لكلّ قطر لسان))[3].

الدعوات المشبوهة إلى العاميّة :

يؤرخ الدارسون أنّ عام (١٨٨٠م) هو العام الذي بدأت فيه هذه الدعوات المشبوهة إلى استعمال العاميّة من قبل الغربيين، بعد أن أدركوا ما فيها من تلبية المطامح وتحقيق الآماني التي كانوا يسعون ورائها، بل لم يزالوا جادين من غير تأنٍ أو تقصير في محاولة تحقيقها، وسوف أقتصر على ذكر بعض الدعاوى المشبوهة لأثنين من المستشرقين وآخرين

(١) ينظر: سلامة اللغة العربية ١٥٢.

(٢) لغتنا والحياة ٩٨، ينظر: من قضايا اللغة والنحو ٣٧- ٣٨.

(٣) ديوان عبود الكرخي (المقدمة)، نقلاً عن سلامة اللغة العربية ١٥٥.

مِمَّن ينتمون إلى العرب [1].

أ ـ المستشرقون :

١ ـ المستشرق الألماني (ولهلم سبيتا) :

كـان مديـراً لدار الكتب المصرية، أطلق عليه الأستاذ محمود محمد شاكر لقب (الماكر الخبيث)[2] وقد أدرك هذا الماكر خطر العاميّة على العرب والإسلام فسارع إلى تأليف كتاباً سمّاه (قواعد اللغة العاميّة في مصر) والذي دعا فيه إلى استبدال الفصحى بالعاميّة [3]؛ لأنّـها لغة الحديث والحوار اليومي، واحتجّ مثلما احتجّ غيره بتعقيد ((بنية الفصيحة وتعدّد قوانينها واتساع متنها وهذه الصعوبة حالت دون مرونتها وصيرورتها لغة المدنية الحديثة، كما قادتها إلى الجمود والتقوقع والإبتعاد عن الحياة اليومية، ودليلهم على هذه الصعوبة ندرة متقنيها من العرب، ولجوء أبنائها إلى العاميّة لما وجدوه فيها من مرونة وسهولة وقدرة على التعبير عن أفكارهم بأيسر السبل اللغوية . ثمّ إنّ المدنية الحديثة تحتاج إلى لغة مرنة طيّعة لحاجات البحث العلمي والكشوف والاختراعات، ولا تتوافر هذه الصفات في الفصيحة، وقد جعل هذا نسبة الأمّيّة كبيرة في المجتمع العربي، في حين تتحلّى العاميّة بها لكنّها منطوقة غير مكتوبة، فإذا قُعِّدات قواعدها انتشر العلم بواسطتها))[4].

ومن ضمن هذه الدعوات المشبوهة التي قالها: ((ومع ذلك (يعني مع صعوبة اللغة والكتابة) فكم يكون الأمر سهلاً لو أتيح للطالب أن يكتب بلغة، إن لم تكن هي لغة

(١) ينظر: تاريخ الدعوة إلى العاميّة ١٩ـ ١٤٦.
(٢) ينظر: أباطيل وأسمار ١/ ١٣٢.
(٣) ينظر: لغتنا والحياة ٩٩.
(٤) اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث ٤١.

الحديث الشائعة، فهي على كلّ حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة، بدلاً من أن يُجبر على الكتابة بلغة هي من الغرابة بالنسبة إلى الجيل الحالي من المصريين مثل غرابة اللاتينية بالنسبة إلى الإيطاليين ،...، وبإلتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور))[1]، فقد أراد هذا الماكر من خلال هذا النص تشويه مكانة العربية عند لبِنَة هذه الأمّة ألا وهم شبابها وطلابها وعلمائها الذين يجب عليهم المحافظة عليها، فانظر إلى السمّ الذي دسّه هذا الماكر من خلال هذه الكلمات القليلة من أنّ غرابة هذه العربية أو (الكلاسيكية القديمة) بالنسبة إلى أبنائها كغرابة اللاتينية بالنسبة إلى الإيطاليين، وهذا الكلام غير صحيح؛ لأنّنا نفهم ما قاله أوكتبه علماؤنا القدماء في الأغلب، في حين أنّ الإيطاليين لا يفهمون ما قاله أو كتبه اللاتينيون في الأغلب، فَلِمَ يقيسون لغتهم اللاتينية الميتة على لغتنا العربية الحيّة ؟ ولا تزال كذلك .

وقد حاولت الدكتورة عائشة عبد الرحن أن تلتمس عذراً لسبيتا بأنّه ليس من دعاة المخطط الاستعماري الذي يريد القضاء على اللغة العربية، إذ قالت: ((كلّ ما في الأمر أنّ مشكلة الثّنائية اللغوية شغلت هذا المستشرق، وقد اتصل بالفصحى في نصوصها الرسميّة والأدبية الهابطة المسفة، واتصل بالعاميّة لغة الحياة والأدب الشعبي، وقارن هذا الوضع بما كان من أمر اللاتينية التي أماتتها اللغات الفرعية التي كانت تشبه لهجاتٍ محلّيةً لها، فتصور أنّ العربية صائرة حتماً إلى مثل هذا المصير، ووقف إلى جانب العاميّة التي توقّع لها أن تخلف الفصحى، وفي ظنّه أنّ هذا الوضع المتوقّع، يجدي كثيراً في محاربة الأميّة والفقر الثقافي، وما ينشأ عنهما من انحطاط سياسي وتخلّف اجتماعي، وإذا كانت العاميّة لغة منطوقة غير مكتوبة، شغل نفسه بدراسة قواعد للعاميّة كي تأخذ

(١) تاريخ الدعوة إلى العاميّة ٢١ـ ٢٢، ينظر: أباطيل وأسمار ١/ ١٣٢- ١٣٣.

مجالها الحيوي للتعليم والثقافة والأدب، على أن تُكتب بحروف لاتينية !))[1]، ثمّ قالت: ((لا تبدو لي محاولة (سبيتا) - كما بدت للزميلة الدكتورة نفوسة زكريا - داخلة في إطار المخطط الاستعماري للقضاء على اللغة العربية))[2].

وهذا العذر الذي التمسته الدكتورة عائشة عبد الرحمن لا يمكن قبوله على أي حال، بل إنّ قولها: ((فتصور أنّ العربية صائرة حتماً إلى مثل هذا المصير، ووقف إلى جانب العاميّة التي توقّع لها أن تخلف الفصحى)) بما فيه من التصوّر والتوقّع لسبيتا ينقضه قوله: ((على أن تُكتب بحروف لاتينية !)) بما فيه من تحقيق غاية سبيتا خدمةً للمستعمر في القضاء على اللغة العربية، وإذا كان الأمر منوطاً بالتصوّر والتوقّع لكان يجب علينا نحن أبناء الفصحى أن نتصور - لو كان صحيحاً - منذ الغزو التتري لبغداد حين انهارت الثقافة العربية بكلّ مقوّماتها لاسيّما اللغة العربية (الفصحى) ولم تبقَ إلاّ العاميات أن تخلف هذه الفصحى وكان حقّاً لها أن تخلف، وتصبح هذه العاميات لغات منفصلة عن العربية الفصحى كانفصال الإيطالية والفرنسية والأسبانية عن اللاتينية، على رأيه، فَلِمَ يشغل نفسه بوضع قواعد العاميّة المصرية في هذا العصر ؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنّ نظرة واحدة إلى قوله: ((وبإلتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور)) يظهر لنا الحقد الدفين لهذا الخبيث الماكر على اللغة العربية الفصحى على حقيقته، وهل يستطيع أحدٌ منّا أن ينكر أنّ تطور الأدب العربي بكلّ فنونه من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث كان بغير هذه اللغة العربية الفصحى أو كما يسمّيها (العربية الكلاسيكية القديمة)؟ فنحن اليوم نفهم كلام الشعراء والخطباء والحكّام والأمراء وغيرهم من كلام القدماء الذين كانوا يكتبون ويتكلّمون

(١) لغتنا والحياة ٩٩.

(٢) لغتنا والحياة ١٠٠، ينظر: تاريخ الدعوة إلى العاميّة ١٨ـ ٤١.

باللغة العربية الفصحى، فما بالنا لو تغيّرت هذه الحروف والبنى والتراكيب تلبيةً لدعوته ودعوة غيره من استعمال العاميات المختلفة بدلاً من الفصحى، فهل ستفهم الأجيال اللاحقة كلام هؤلاء الشعراء والخطباء والعلماء وغيرهم ؟ بل هل ستفهم كلامنا نحن اليوم؟ إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار قرب الزمن، وهذا التطور الذي دعا إليه سبيتا ألا يمثل الموت الحقيقي للعربية الفصحى (الكلاسيكية القديمة) ؟.

٢ ـ المستشرق البريطاني المهندس الريّ (وليام ولكوكس):

ألقى هذا المستشرق محاضرات في نادي الأزبكية في القاهرة سنة ١٨٩٣م، التي نُشِرت في مجلة الأزهر فيما بعد، ودعا فيها إلى التأليف بالعاميّة ونبذ الفصحى لأنّها تخلّفهم وتأخرهم عن التطور والتقدم، ولا يحقق لهم ذلك إلاّ العاميّة؛ لأنّها أداة الإختراع، ولذلك كان أحد موضوعات محاضراته هذا السؤال: لِمَ لا تُوجد قوة اللإختراع لدى المصريين إلى الآن ؟[١] .

قال عنه الأستاذ محمود محمد شاكر: ((وهذا الغبي أيضاً جاء بتشبيهات جديدة في مقالته، فشبّه الفصحى باللاتينية، والعاميّة بالإنكليزية، وهذه براعة خارقة، وزعم أنّ اللغة الفصحى ماتت؛ لأنّها صعبة وجامدة، ودعا إلى اتخاذ العاميّة لغة أدبية اقتداءً بالإنكليز))[٢].

وهذه الدعوة التي ادّعاها دعوة فاشلة ليس لها أساس تستند عليه؛ لأنّ ((اللغة تتأثّر بحال الأمّة وأوضاعها الأجتماعية والنفسية والفكرية والعلمية، وليس العكس، فكيف إذاً تكون أداة في تأخر القوم، وعدم قدرتهم على الابتكار والتقنية والاختراع ؟))[٣].

(١) ينظر: أباطيل وأسمار ١/ ١٣٤، وفقه اللغة العربية ٣٥٨.
(٢) أباطيل وأسمار ١/ ١٣٤.
(٣) فقه اللغة العربية ٣٥٨.

وقد اتخذ هذا وسائل كثيرة لكي يُبرهن على أنّ العاميّة هي اللغة القادرة على مواكبة التقدم والتحضّر، ومنها: ترجمته فصولاً من الإنجيل إلى العاميّة، تمهيداً للقول بأنّ القرآن الكريم يمكن ترجمته إلى العاميّة أيضاً، ثمّ ألّف كتاباً علمياً لكي يبرهن كذلك أنّ العاميّة صالحة للتأليف العلمي، ولكن هذه اللغة خانته في مُؤلّفه هذا فرجع إلى الفصحى كي تسعفه في التعبيرات الصحيحة [1].

ونقول له أيُّ اللغتين أكثر صعوبة وتعقيداً العربية وما هي عليه من ثبات القواعد والأصول منذ تقعيد قواعدها ووضع أصولها، أم اللغة الأنكليزية التي ليس لها قواعد وأصول ثابتة ؟ فنحن نفهم كلام الشعراء والخطباء والعلماء وغيرهم من القدماء منذ العصر الجاهلي، في حين أنّ الشعب البريطاني اليوم لايستطيع فهم الأعمال الأدبية التي كتبها شكسبير المتوفى عام (١٦١٦م) إلاّ من خلال الترجمة ، وهم قريبي العهد به، فأيّ لغة هذه التي تتغرب عن ماضيها ثمّ تُوصف بالتطوّر ؟.

وبعد أن أيقن المستشرقون أنّ دعواتهم هذه قد بأت بالفشل ولم تلقَ آذانً صاغية، وكِّل هذا الأمر إلى بعض الكتّاب والأدباء الذين لم يملكوا من العروبة إلاّ الأسماء، وفي حسبان أسيادهم الأمل كلّه في أن ينجح هؤلاء في ما فشلوا فيه، وسأقتصر على ذكر بعض الدعوات لإثنين منهم :

ب ـ أتباع المستشرقين ممن ينتمون إلى العرب :

١ ـ سلامة موسى :

هو أحد أذناب المستشرقين وتلامذة الغرب المخلصين الداعين إلى العاميّة ونبذ الفصحى المجاهرين بذالك في مؤلّفاته ومقالاته، تأثّر كثيراً بسيده المستشرق (ولكوكس)

(١) ينظر: لغتنا والحياة ١٠١- ١٠٧، وفقه اللغة العربية ٣٥٨- ٣٥٩.

في دعوته إلى العاميّة في مصر، والذي قال عنه في كتابه (اليوم والغد): ((والهم الكبير الذي يشغل بال السير ولكوكس بل يقلقه هو هذه اللغة التي نكتبها ولا نتكلّمها، فهو يرغب في أن نهجرها ونعود إلى لغتنا العاميّة، فنؤلف فيها وندون بها آدابنا وعلومنا))[1]، والذي يقرأ هذا النص يرى مقدار اخلاص هذا التلميذ لإستاذه .

وقد صدق الإستاذ محمود محمد شاكر عندما وصفه بـ (التالف القديم) مرّةً وبـ (الوقح) مرّةً أخرى[2]، وتتجلّى هذه الصفات أكثر وضوحاً في كتابه (البلاغة العصرية واللغة العربية) حين حشّد فيه أفكاره المسمومة وشمّر عن قلمه ضد العربية الفصحى، إذ قال: ((يجب ألاّ يكون للمجتمع لغتان، إحداهما كلامية أي: عاميّة، والأخرى مكتوبة أي: فصحى، كما هي حالنا في مصر وسائر الأقطار العربية؛ لأنّ نتيجة هذه الحال أنّ اللغة المكتوبة تنفصل من المجتمع فتصبح كأنّها لغة الكهّان التي لا تُتلى إلاّ في المعابد، وينقطع الاتصال الفسيولوجي بينها وبين المجتمع ،...، واللغة الحيّة هي الجهاز العصبي أو الشبكة التليفونية التي يتخاطب ويتفاهم بها أفراده . فإذا عجزت عن تأدية هذا التخاطب والتفاهم فهي خرساء، أي بمثابة الشبكة التليفونية المقطوعة أو التالفة، ويجب السرعة في ترميمها))[3].

وإذا كانت اللغة العربية الفصحى تحتاج إلى إصلاح فليس على ما يريد هذا التالف القديم مثلما وصفه الأستاذ محمود محمد شاكر، فهو ((لم يكتب واحداً من مؤلّفاته أو يُسطّر كلمةً في مقالاته باللغة التي كان يدعو إليها، فهل ترى أقسى من هذا

(١) أباطيل وأسمار ١/ ١١٩.
(٢) ينظر: أباطيل وأسمار ١/ ١١٩- ١٩٤.
(٣) البلاغة العصرية واللغة العربية ٣٧ـ٣٨، ينظر: لغتنا والحياة ١١٢.

على نفوس هؤلاء الحاقدين الحاسدين ؟))[1].

٢ ـ لويس عوض:

وهو من تلامذة (سلامة موسى)، بل هو نسخة منقّحة منه، وقد عُرف عنه بدعوته للأدب العامي في حياته الأدبية [2].

وكان من أشنع حملاته ضد العربية الفصحى هو تجرّؤه بالقول في ترجمة القرآن الكريم إلى العاميّة، كما فعل ذلك أستاذ أستاذه (ولكوكس) عندما ترجم أجزاء من الأنجيل إلى العاميّة تمهيداً لترجمة القرآن الكريم، فجاء هذا الحاقد ملبياً لهذه الدعوة النكراء، قال عنه أستاذه سلامة موسى: ((وعقليّة لويس عوض عقليّة زمنية حقّاً، فهو يفهم أنّ هذا الإنقلاب اللغوي لم يقوض أركان الدين في أوربا، وإنّما قوض أركان الكنيسة، التي خشيت أن يقرأ الشعب الساذج كلام السماء بلغة يفهمها، فتسقط عن بصره الغشاوة، ويدرك أنّ رجال الدين إنّما يُزيّفون عليه من عندهم ديناً))(٣)، فإذا كانت هذه القضية تنطبق على الأنجيل وغيره لأنّه محرّف أصلاً، فلا نظنّها تنطبق على القرآن الكريم لأنّه محفوظ برعاية الله ـ سبحانه وتعالى - بنص التنزيل، ولا أظنّ أنّ المسلمين يحتاجون إلى مثل هذه العقلية المُقلِّدَة المُستَعْبَدَة من قِبَلِ أعداء الإسلام لكي يفهموا القرآن الكريم، فهو ((بلا شكّ مُدّعٍ كاذب في تجربته، بل هو يعيش في أحلام وسمادير لا حقيقة لها))[4].

٣ ـ المؤسسات:

وإذا كنا نعجب من هذه النصوص التي قالها أصحابها المشتبه بهم كدعواتهم المشتبه

(١) بحوث ومقلات في اللغة ١٧٣.
(٢) ينظر: أباطيل وأسمار ١/ ١٢٠.
(٣) أباطيل وأسمار ١/ ١١٧.
(٤) أباطيل وأسمار ١/ ١٣٩.

بها، فإنّ العجب يزداد عندما نقرأ نصوصاً تصدر عن مؤسسات كان يغلب عليها الظنّ أنّها تُدافع عن الغة العربية الفصحى، وذلك من خلال ضم بعض أعداء هذه اللغة إلى مجاميعها .

ومن هذه المؤسسات (مجمع اللغة العربية) الذي أُسس لحماية اللغة العربية فهو بمثابة الركن الحصين الذي تأوي إليه، ولكن ظهرت ((في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن (اللهجة العربية العاميّة) كتبها عضو من أعضاء هذا المجمع اسمه عيسى اسكندر المعلوف، ولعلّ ما يدعو إلى العجب حقّاً أن يختار المجمع لعضويّته رجلاً معروفاً بعدائه الصريح للعربية، وهو عداء عريق ورثه عن أبيه الذي أعلنه وجهر به حين سجله في مقال له نشرته (الهلال) سنة ١٩٠٢م، وليس هذا هو كلّ ما يدعو إلى العجب من أمر هذا المجمع، فقد تقدّم عضو من أبرز أعضائه وهو عبد العزيز فهمي ،...، باقتراح كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، وشغل المجمع ببحث اقتراحه عدّة جلسات، امتدّت ثلاث سنوات ونُشِر في الصحف وأُرسِل إلى الهيئات العلمية االمختلفة))[1].

ولا يكاد العجب ينقضي من موقف (مجمع اللغة العربية) حتى يزداد أكثر في موقف (الجامعة العربية) التي ((أصدرت لجنتها الثقافية في ١٩٥٥م كتاباً في (اللهجات وأسلوب دراستها) لأنيس فريحة، وموضع العجب أنّ الجامعة العربية هي جامعة اللغة العربية، وأنّ اللغة العربية المقصودة هي اللغة الفصيحة التي تشترك فيها سائر الدول العربية، وهذه اللغة العربية الفصيحة هي وحدها الجامعة التي لا يستطيع أن ينكرها دعاة الشقاق ولا يستطيع أن يماري فيها أصحاب الأهواء غيهم ،...، أليس عجيباً أن يُستغل

(١) محمود شاكر قصة قلم ٧٧- ٧٨.

منبر الجامعة العربية لهدم الجامعة العربية ؟))(١)، بل العجب كلّ العجب أن لا يُستَغل هذا المنبر لهدم الجامعة العربية (اللغة العربية)، إذا ما عرفنا أنّ هذه الجامعة العربية هي من صنيع الأنكليز أعداء اللغة العربية الذين احتلّوا مصر وفرضوا لغتهم عليها، فكان الواجب حينئذٍ ((في رأيهم ورأي الإستعمار الذي يخدمونه أن يتعلّم المصري الإنجليزية، ليستطيع وهو في وطنه أن يخاطب الإنجليزي بلغته، فإن لم يفعل فهو آثم، وجزاؤه أن يُحال بينه وبين الطموح إلى غير الحضيض الذي أُلقي به فيه حتى يموت))(٢)، فكذلك هو الواجب لهذه الجامعة العربية .

وإذا كانت هناك لغة تتطلّب حلاً فهي اللغة الصينية التي تُعَدُّ من أصعب اللغات، فكيف بها مضافاً إليها عاميّاتها المختلفة ؟ ومع هذا لم نجد أو نسمع في العصر الحديث من يدعو إلى علاجها باعتبارها حالة شاذة، في حين أننا نجد ونسمع في هذا العصر من يعمل على علاج العاميّات العربية باعتبارها حالات شاذة عن بقيّة اللغات العالمية، وبقدر هذا العلاج المزعوم الذي يُراد به معالجة هذه الظاهرة الطبيعية يمكن أن نتصوّر الحقد الدّفين لأعداء هذه اللغة وأمّتها ودينها .

إلاّ أنّ هذه الدعوات المشبوهة قد ذهبت أدراجها مع مرور الزمن، حالها كحال كلّ عمل لا يستند على أساس متين ، وإنّما قامت على أهواء وتخيلات مريضة ممزوجة بواقع العداء للعروبة والإسلام من قِبَل الغربيين وأذنابهم من العرب .

نماذج من العاميّة :

تختلف اللغات العاميّة بين أحياء كلّ مدينة، وبين مدن كلّ قطر من الأقطار العربية، وبين كلّ قطر من أقطار الوطن العربي المتباعدة بعضها عن بعض، في الأصوات والصيغ

(١) محمود شاكر قصة قلم ٧٨.

(٢) من قضايا اللغة والنحو ٣٩.

والتراكيب، وسأقتصر على بعض الأمثلة للغات العاميّة لبعض أقطار الوطن العربي طلباً للإختصار، وكذلك من أجل بيان هذا الإختلاف في النطق وأثره على المفردات والتراكيب والدلالة .

فمن اختلاف اللغات العاميّة في الأصوات ما ((حدث في بعض المفردات العربية المُفتتحة بالهمزة؛ إذ تحولت همزتها في بعض اللهجات العامية إلى فاء أو واو، فـ(إذن) تحولت في عامية المصريين إلى (ودن)، و(أين) تحولت إلى (فين) أو إلى (وين) في عامية القبائل العربية النازحة إلى مصر من المغرب وفي عامية العراق والحجاز، و(أدّى) تحولت في بعض المواضع في عامية المصريين إلى(ودّى)، فيقال مثلاً: (ودّاه المدرسة) بمعنى (أدّى به إلى المدرسة) أي: أوصله إليها))[1] وكذلك في عاميّة العراقيين .

ومن اختلاف العاميات في الأصوات كذلك أنّ ((الذال قد تحولت في كثير من المناطق العربية إلى دال، في معظم الكلمات؛ فيقال: داب، دراع، ديب، ده، دبل، دبح، دبان، دأن، أدان، ودن، دهب، ديل ،...، إلخ، بدلاً من: ذاب، ذراع، ذئب، ذا، ذي، ذبل، ذبح، ذباب، ذقن، أذان، ذهب، ذيل، ...، إلخ، وإلى زاي في بعض الكلمات؛ فيقال مثلاً: زنب، زهن، زكـي، بزر، رزالة ،...، إلخ، بدلاً من: ذنب، ذهن ، ذكي، بذر، رذالة ،...، إلخ))[2].

ومن الأمثلة على اختلاف العاميات في الصيغ أنّ المضارع قد ((أصابه تطور ملحوظ، فقد تدخل الباء على صيغة بوصفها سابقة ذات دلالات معينة، أو الحاء متلوة بفتحة للإشارة إلى زمن معين: (باكل، بيشرب) (حاكل، حيشرب)))[3]، هذا عند المصريين،

(١) علم اللغة (د. وافي) ٢٨٠- ٢٨١.
(٢) علم اللغة (د. وافي) ٢٦٦.
(٣) دراسات في علم اللغة ٢٣٣.

وكذلك نسمع هذا اللفظ بعينه عند العراقيين ولا سيّما أهل بغداد، إذ يقولون: حياكل، حيشرب، حيروح ،.... .

ومن الأمثلة كذلك على اختلاف الصيغ أنّ الفعل المشدّد الآخر إذا أُسنِدَ إلى الضمير فُكّ هذا التشديد في علم الصرف، إلاّ أنّه في اللهجة العراقية يبقون على التشديد إذا أُسنِد إلى الضمير ((ولكنّهم يزيدون ياءً بين الحرف المشدد والضمير، ففي شدّ، ومرّ، وعدّ، يقولون: شدّيت، ومرّيت، وعدّيت، لتسهيل اللفظ))[1].

ومن الأمثلة على اختلاف العاميات في التراكيب أنّ الاستفهام في العربية الفصحى له صدارة الكلام، ولكنّه في العاميّة يأتي في النهاية، ففي اللهجة المصرية يقولون: (محمد فين)، وهي في الفصحى: أين محمد؟[2]، وفي اللهجة العراقية يقولون: (محمد وين راح) بدلاً من أين ذهب محمد ؟.

وكذلك في النفي، فعندما يُقال للتلميذ: هل كتبت الدرس؟ يكون الجواب في العاميّة المصريـة: ما كتبتوش. وفي العاميّة العراقيـة: مكتبت . في حين أن الفصحـى: لم أكتبه [3]. وإلى غير ذلك من الأمثلة المتراكمة المختلفة للعاميات العربية .

وسأقتصر على مثالين لبيان الفرق الدلالي الناتج عن هذا الاختلاف اللهجي العامي في العصر الحديث، فأهل مصر يقولون: (دبل) في (ذبل)، ومعنـى (دبل) الجمع، جـاء في (الصحـاح): ((دبلـت الشيء: جمعتـه))[4]، في حيـن أنّ أهـل العـراق يقولـون: (ذبل) وهـو الصحيح، الذي يدلّ على الضمور . جـاء في (مقـاييس اللغـة): ((الذال

(١) دراسة اللهجات العربية القديمة ١٣٧.
(٢) ينظر: دراسات في علم اللغة ٢٣٩.
(٣) ينظر: دراسات في علم اللغة ٢٤٠.
(٤) الصحاح ٤/ ١٦٩٤ (دبل).

والباء واللام أصلٌ واحد يدل على ضُمْرٍ في الشيء))[1]. فكل من هاتين اللفظتين لها دلالتها الخاصة في العربية الفصحى، وانظر كيف أثرت العاميّة في الخلط بين دلالة هاتين اللفظتين، فكيف إذا اتخذناها لغة الأدب والعلم وفيها ألاف الألفاظ التي لا يفهم معناها إلاّ بالرجوع إلى المعاجم، هذا في حالة وجود هذه الألفاظ فيها، وأمّا العكس فهو التغريب والتمزّيق والموت للعربية.

وأهل مصر يقولون: (زنب) في (الذنب)، والزنب يعني: السِّمن . جاء في (لسان العرب): ((الزَّنَبُ: السِّمنُ))[2]، في حين أنّ (الذنب) في اللغة العربية الفصحى يعني الأثم والجرم . جاء في (لسان العرب): ((الذَّنْبُ: الإِثْمُ والجُرْمُ وَالْمَعْصِيَةُ))[3].

ونحن عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾[4]، نفهم معنى الذّنب هنا وهو الأثم والجرم والمعصية الذي قام به وهو قتل ((القبطيّ الكافر خبّاز فرعون بالوكزة التي وكزها))[5]، لأنّ الأثم والعقوبة مرتبطة بالقتل، ولكننا لا نفهم معنى هذه الآية إذا قرأناها على اللهجة المصرية، فقلنا (زنب) بدلاً من (ذنب)، فلا بُدّ لنا عندئذٍ من العودة إلى المعجم العربي الذي نجد فيه معنى هذه االكلمة ، كما أشرنا إليه سابقاً ألا وهو: السِّمن، وعندئذٍ لا نفهم قوله تعالى لأنه لا علاقة للسِّمن بالقتل فيختلّ المعنى، وهذا هو مراد دعاة العامية، وبه تفترق البلدان ويصبح لكلّ بلد قرآناً خاصاً بلهجته ولا بُدّ عندئذٍ من الترجمة، فنصبح كما أمسى أعداؤنا .

(١) مقاييس اللغة ٢/ ٣٦٩ (ذبل).
(٢) لسان العرب ١/ ٤٥٣ (زنب).
(٣) لسان العرب ١/ ٣٨٩ (ذنب).
(٤) الشعراء ١٤.
(٥) البحر المحيط ٨/ ١٤٤.

ومِمَّا يجدر التنبيه إليه في هذا العصر الحديث كثرة الرسائل النّصية التي تُكتب باللغة العاميّة؛ بسبب انتشار وسائل الإتصال الحديثة التي تُعرف بشبكة الإنترنت، والتي لا يكاد يخلو بيتٌ منها الآن، فضلاً عن ذلك أجهزة الموبايل والتي لا يكاد يخلو أفراد هذا البيت منها كذلك .

وإذا كنّا سابقاً نسمع هذه اللغة من بعض مذيعي برامج التلفاز والرّاديو ، وبعض خطباء الجوامع، فضلاً عن البيت والشارع والسوق، فإننا اليوم لم نَعُدْ نسمع فقط، وإنّما نكتب بها الرسائل النّصية التي تُرسل عبر هذه الوسائل والأجهزة الحديثة، ومن المعلوم أنّ الكتابة هي أكثر تثبيتاً لألفاظ للغة وتراكيبها في النفوس من السماع .

وكان من الواجب أن تُستغلّ هذه الوسائل والأجهزة بالدعوة الى الفصحى وكتابة الرسائل بها؛ لأنّ الحروف العربية الصحيحة جميعها موجودة فيها، ولكن قلّة الوعي بالأخطار التي تحيط بنا أصبحنا جزءاً من مشروع هدم العربية وتمزيق أصولها، وصدق الشاعر إذ قال :

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حَيّاً ولكنْ لا حياةَ لِمَنْ تُنادي[1]

فالدعوة إلى العاميّة في هذا العصر دعوة إلى تشويه الألفاظ ودعوة إلى اللبس في المعاني والدلالات ودعوة إلى تجريد العربية من الدّقة في اختيار الألفاظ والتراكيب، فهي إذن دعوة إلى تغريب العربية إلى أهلها فضلاً عن تفرقتهم وتخلفهم، وهذا هو محط أنظار أعداء هذه الأمّة ولغتها ألا وهو الاستعمار الغربي الذي يريد السيطرة على هذا الوطن وإحلال لغات مُتفرّقة مُشتّتة لا صلت بينها مكان العربية الجامعة بين أقطار هذا الوطن الواحد، والتي تُعتبر الحصن الأكبر من حصون هذا الدين وذلك لكونها لغة القرآن الكريم، فإذا ما هُدم – لا سمح الله – ذهب هذا الدين بكل مقوّماته، فينفكّ هذا الإرتباط الوثيق بين

(١) ريحانة الكتّاب ٢/ ٢٢٩.

شعوب هذا الدين فيصبحوا أُمَماً مختلفة متخلّفة، لأنّ العاميّة ((لا تسري إلاّ حيثما يكون الجهل والمكابرة والعناد))[1].

يقول الرافعي: ((فما اختلافنا في لغة هي في طبيعتها اللغوية تأبى أن تكون أصلاً ،وأن تُعدُّ لغة، ومهما جَهِدتَ بها لا تتحول إلاّ إلى أصلها المعروف المتميز، فإذا أُرِيدت على غير ذلك التاثت واضطربت وفرت إلى الأسواق والسُّبل!))[2].

ولكن هيهات هيهات فهذه الجزائر التي تعرّضت إلى أبشع غزوٍ فكري وثقافي في العصر الحديث من أجل مسخ هويتها العربية، إلاّ أنّها بقيت وستبقى عربية تفهم هذا اللسان العربي المبين كما نفهمه نحن[3]. وصدق أحمد شوقي إذ قال:

وَيَجْمَعُنَا إِذَا اختَلفَتْ بِلادٌ بَيَانٌ غيرُ مختلفٍ ونُطقُ [4]

فهذه الأمثلة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية القليلة التي ضربناها على سبيل المثال لا الحصر، توضح لك حال هذه اللغة العاميّة وما عليها من الأختلاف وعدم الدّقة في كل الجوانب اللغوية ، فهل تصلح لأن تكون لغة الأدب والعلم وترقى بالأمّة إلى التطور المنشود الذي يدّعيه أصحابها ؟.

دور اللغة العاميّة :

لا تُوجد لغة أيّاً كانت إلاّ ولها دور تُثبت من خلاله وجودها في التواصل بين طبقات المجتمع، وإلاّ حُكِم عليها بالموت، واللغة العاميّة من اللغات الحيّة التي لها دور لا يمكن تجاهله لا سيّما في طبقات المجتمع الدنيا؛ لذلك سُمِّيت العاميّة لغة السوق ((لأنّ

(١) دراسات في فقه اللغة ٣٥٩، ينظر: اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين ١٦٤- ١٦٥.
(٢) تحت راية القران ٤٩.
(٣) ينظر: لغتنا والحياة ١٦٩- ١٨٥.
(٤) الشوقيات ٢/ ٧٥.

الأسواق لا تُعنى من أمر الجيد والزيف إلاّ بألفاظ لغة الأرزاق (الدراهم)، وهي بَعدُ مجامع العامة على تباين أجناسهم، ومعارض الأشياء على اختلاف جهاتها))[1].

ويتمثّل دور العاميّة من خلال التواصل بها بين اللغويين والعلماء وبين طبقات المجتمع الدنيا والوسطى ، إذ لا يمكن لهذا العاميّ أن يفهم المستوى العالي للغوي أو العالم؛ ولذلك يجب على اللغوي أو العالم أن يتكلم بالمستوى الذي يفهمه هذا العاميّ كي يستطيع التواصل معه، فقد رُوي أنّ أبا عمرو بن العلاء (ت ١٤٥هـ) وهو أحد علماء العربية الكبار ((قصده طالباً ليقرأ عليه فصادفه بكلاء البصرة (سوق بالبصرة) وهو مع العامة يتكلم بكلامهم، ولا يفرق بينه وبينهم فنقص في عينه، ثمّ لمّا دخل الجامع أخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان فعظُم في عينه، وعَلِمَ أنّه كلّم كلّ طائفة بما يناسبها من الألفاظ، وهذا هو الصواب، ومن ادّعى معرفة اللغة وتكلّم مع كلّ أحد بالعالي والغريب فهو ناقص العقل))[2].

ويتمثّل دور العاميّة كذلك في الحفاظ على المتعة التي يجدها القارئ أو السامع في النكت والطرائف والنوادر والمُلح؛ لأنّها تفقد هذه المتعة والنكهة إذا ما نُقِلت إلى العربية الفصحى . فهذا أمير البيان العربي (الجاحظ) لم ير حرجاً في استعمالها في هذا الباب، إذ يقول: ((إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة والطغام، فإيّاك وأن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا، فإنّ ذلك يفسد الامتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أُريدت له، ويذهب استطابتهم إيّاها واستملاحهم لها))[3].

(١) تأريخ آداب العرب ١/ ٢٥٦.
(٢) مفتاح السعادة ١/ ١٠١.
(٣) البيان والتبيين ١/ ١٤٦.

ما نحتاجه اليوم :

مِمَّا لا شكّ فيه أنّ العيب في هذا العصر الحديث في أبناء العربية وليس فيها، ففي الماضي كانت مشروع النهضة التي كشفت عن طواعيتها ومرونتها وقدرتها على التوليد والاشتقاق أمام التجارب التي مرّت بها، وكلّ ذلك بسبب اهتمام أهلها بها فلم يألوا جهداً في خدمتها والنهوض بها، فكانت لهم كما كانوا لها، وأمّا اليوم فلم تكن لنا كما كانت لهم[1] .

وإذا كان القدماء قد رصدوا الألفاظ الغريبة التي دخلت العربية وقاموا بتعريبها من خلال تطويعها وتذليلها لأساليب العربية وأطلقوا عليه اسم (المُعرّب) فإننا اليوم لا نحتاج إلى تعريب هذا الكم الهائل من الألفاظ الدخيلة والغريبة على العربية، بقدر ما نحتاج إلى تعريب هذا الفكر العربي الذي أُشبِعَ بالإتهامات والدعوات المشبوهة والأقاويل الكاذبة والصيحات المسمومة التي تنادي بتخلف العربية وتأخرها عن هذا التطور الحضاري؛ لانّ العلاقة وثيقة بين اللغة والفكر ومن المستحيل الفصل بينهما، إذ كيف يستطيع المرء توسيع آفاقه ومداركه وقدرته على الفهم والتعبير والتمييز بين الجيد والردئ بين الالفاظ دون استعمال واسع وصحيح للغة التي يتكلم بها، فإذا ما عرّبنا هذا الفكر صلح التفكير، وإذا صلح التفكير صلح التعبير المُتوخّى من خلاله المعنى الصحيح، وعندئذٍ نُدرك جمالية هذه اللغة العربية من كلّ جوانبها(٢)، كما أدركها السابقون فكانت مشروع نهضتهم، فهل نستطيع نحن أن نجعلها مشروع نهضتنا اليوم؟.

---

(١) ينظر: دراسات بلاغية ونقدية ٣٣١ـ ٣٣٢،

(٢) قال أبو حيان التوحيدي: ((وقد سمعنا لغات كثيرة ،...، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية، أعني الفرج التي بين كلماتها، والفضاء الذي نجده بين حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا تُجحد في أبنيتها)) الإمتاع والمؤانسة ١/ ٧٥.

الخاتمة

وقد توصل البحث إلى نتائج، يمكن أن نذكرها على النحو الآتي :

١ ـ اللغة العاميّة هي حالة طبيعية شهدتها اللغات الحيّة جميعها القديمة والحديثة، وقد لازمة العربية منذ أقدم عصورها دون أن تُزحزِحَها عن ميدانها الأدبي .

٢ ـ اللغة العاميّة العربية في الغالب لها اتصال جذري بالفصحى .

٣ ـ التقدّم في التمدّن والتحضر يزيد من انتشار اللغة العاميّة في المجتمعات .

٤ ـ كان اهتمام القدماء بدراسة اللغة العاميّة في العصر القديم جزءاً من اهتمامهم بالفصحى، أمّا في العصر الحديث فقد كان اهتمام المحدثين من المستشرقين ومن تابعهم من العرب بدراستها إلى إحلالها محل الفصحى .

٥ ـ لم يكن في العصر القديم من يدعو إلى استعمال العاميّة لا من العجم ولا من العرب، أمّا في العصر الحديث فقد كان هناك من يدعو إلى استعمالها، لا سيّما المستشرقين ومن تابعهم من العرب .

٦ ـ كلّ من الشعوبية في العصر القديم والاستعمار الغربي في العصر الحديث أرادا السيطرة على العرب والأنتقاص منهم، إلاّ أنّ الشعوبية لم تسعَ إلى تغريب العربية وموتها، في حين أنّ الإستعمار الغربي سعى إلى تحقيقهما معاً.

٧ ـ فكرة استعمال اللغة العاميّة كسلاح ضد العربية من أجل تغريبها وإماتتها لم تأتِ إلاّ بعد أن عجز المُستَعمِر الغربي من فرض سيطرته عسكرياً وثقافياً في العصر الحديث.

٨ ـ كانت الدعوة إلى استعمال اللغة العاميّة في العصر الحديث مقصورة على العربية

فقط، بسبب اتصال حاضرها بماضيها، دون غيرها من اللغات، التي فقد أكثرها هذا الإتصال .

٩ ـ اللغة العاميّة لم تشكّل أيّ خطر من تغريب أو موت للعربية في العصر القديم، أمّا في العصر الحديث فهي السلاح الأقوى في تمزيق العربية، وتغريبها عن أصولها، وموتها .

١٠ـ اللغة العاميّة لها دور اجتماعي لا يُمكن إنكاره في العصر الحديث، كما لم يُنكره أحدٌ في العصر القديم .

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١. أباطيل وأسمار، د. محمود محمد شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٢. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لمحمد بن محمد المقدسي (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق، ١٩٨٠ م .

٣. أدب الكاتب، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط٤، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣ م .

٤. أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق د. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .

٥. الأسلوب، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ط١٢، ٢٠٠٣م .

٦. الإمتاع والمؤانسة، لابي حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ)، تح محمد حسن محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧. الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط٦، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٨. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق د. صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٩. بحوث ومقالات في اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة،

ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

١٠. البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي ـ القاهرة، ٢٠١٢م.

١١. البلدان، لأبي عبد الله أحمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

١٢. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق د. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

١٣. تأريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٤، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

١٤. تأريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، د. شوقي ضيف، دار العارف - مصر، ط لا توجد .

١٥. تأريخ الدعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر، د. نفّوسة زكريا سعيد، دار نشر الثقافة ـ

الإسكندرية، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م .

١٦. تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، المكتبة العصرية ـ بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

١٧. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١، ٢٠٠١م .

١٨. جمهرة اللغة، لإبن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٨٧م .

١٩. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار،

الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط٤، ١٩٩٩م .

٢٠. دراسات بلاغية ونقدية، د. أحمد مطلوب، دار الحرية - بغداد، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢١. دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار غريب - القاهرة، ط لا توجد .

٢٢. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين - بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٢٣. دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، السيد أحمد عمارة، مكتبة المتنبي، ط لا توجد .

٢٤. دراسة اللهجات العربية القديمة، د. داود سلوم، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢٥. درّة الغواص في أوهام الخواص، لأبي محمد الحريري (ت ٥١٦هـ)، تحقيق عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٢٦. ديوان عامر بن الطفيل برواية أبي بكر الأنباري عن أبي العباس ثعلب، دار صادر - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢٧. ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب، لأبي عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) ،تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٩٨٠م .

٢٨. سلامة اللغة العربية المراحل التي مرّت بها، عبد العزيز عبد الله محمد، مطابع جامعة الموصل - الموصل، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢٩. الشعوبية حركة مضادة للأسلام والامّة العربية، د. عبد الله سلوم السامرّائي، دار الحرية - بغداد، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٠. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني

(ت ٥٧٣هـ)، تح: د. حسين بن عبد الله العمري وأخرون، دار الفكر ـ دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

٣١. الشوقيات، أحمد شوقي، مطبعة الاستقامة – القاهرة، ١٩٥٣م.

٣٢. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٣٣. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ)، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٣٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٣٥. طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م .

٣٦. ظهر الإسلام، لأحمد أمين، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٥، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

٣٧. العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة د. عبد الحليم النجار، الدار المصرية السعودية – القاهرة ، ٢٠٠٦م .

٣٨. العقد الفريد، لأبن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

٣٩. علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي ، مكتبة نهضة مصر – القاهرة، ط٤، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م .

٤٠. علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، دار غريب – القاهرة، ط لا توجد.

٤١. عيون الأخبار، لأبن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية –

بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٤٢. فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر - القاهرة، ط٧، ١٩٧٢م .

٤٣. فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزيدي، جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٤. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار العارف - مصر، ط ١٢ .

٤٥. القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق مكتبة تحقيق التراث، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٤٦. الكليات، لأبي البقاء الحنفي الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تح: د. عدنان درويش ود. محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط لا توجد .

٤٧. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا ، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٤٨. لحن العامة والتطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، دار العارف - مصر، ط١، ١٩٦٧م .

٤٩. لسان العرب، لأبن منظور الأفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٥٠. اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، د. عبد الكريم خليفة، دار الغرب الاسلامي - بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٥١. اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث، لسمر روحي الفيصل، اتحاد الكتاب العربي - دمشق، ١٩٩٣م .

٥٢. لغتنا والحياة، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار العارف - مصر، ١٩٧١م .

٥٣. المحاسن والأضداد، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٥٤. مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٤م .

٥٥. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق فؤاد علي منصور، ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٥٦. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت لحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٥٧. معجم الألفاظ العاميّة ذات الحقيقة والأصول العربية، د. عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط٢.

٥٨. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، مجمع اللغة العربي في القاهرة، دار الدعوة، ط لا توجد .

٥٩. مفتاح السعادة ومصباح السادة في موضوعات العلوم، لطاش كبري زاده، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبي النور، مطبعة الإستقلال الكبرى - القاهرة، ١٩٦٨م .

٦٠. المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٦١. المفصل في علم الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الجيل - بيروت ،ط٢.

٦٢. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق د. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٦٣. مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، اعتناء

ودراسة أحمد الزعبي، دار الأرقم - بيروت، ط لا توجد .

٦٤. من قضايا اللغة والنحو، علي النجدي ناصف، مكتبة نهضة مصر - القاهرة، ط لا توجد .

٦٥. نظرات في اللغة والنحو، للعلامة طه الراوي، المكتبة الأهلية - بيروت، ط١، ١٩٦٢م .

الدوريات

* اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ـ الرباط . المجلد الثالث عشر، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

* محمود شاكر قصة قلم، عايدة الشريف، دار الهلال، العدد ٥٦٣، رجب، ١٩٩٧م .